المنبر

مجلة اتحاد النوادي الارثوذكسية العربية

المجلد الاول: العدد ٣ — القدس — آذار ١٩٤٧

موضوعات العدد

المطبعة التجارية * القدس

المنبر

مجلة شهرية

يصدرها اتحاد النوادي الارثوذكسية العربية

المحرر المسؤول : حنا عطاالله — القدس ص.ب ١٠١٥
تلفون ٢٨٤٠ و ٥٣٤٠

المدير : لطفي منولو — القدس ص.ب ١٦٣
تلفون ٣٨٨٥

— بدل الاشتراك السنوي : جنيه ١ و ٢٠٠ مل —

المنبر

مجلة اتحاد النوادي الأرثوذكسية العربية

المجلد الأول | { آذار ١٩٤٧ } | العدد ٣

من المحرر

تناول الاستاذ عيسى بندك في العدد الماضي من المنبر[١] الارثوذكسية باعتبار انها مبدأ انساني. ونحن عندما نولي هذه المسألة عنايتنا الفكرية ، نجد ان الارثوذكسية هي مبدأ انساني عام ، سواء من حيث تعاليمها الدينية ونظرتها الفلسفية وقيمها الاخلاقية .

لكن عندما ننظر الى حالة الملة الارثوذكسية في فلسطين نجد شيئاً آخر . فلا التعاليم الدينية لها منزلتها ، ولا النظرة الفلسفية معتنى بها ، ولا القيمة الاخلاقية تحتل المركز اللائق بها . ونتساءل عن السبب ، ولا نطيل التساؤل حتى نقع على الجواب .

ان القيادة الروحية في ملتنا ضعيفة . نقول ضعيفة ونحن نقصد بذلك الناحية الروحية الدينية الخلقية . والضعف آت من جهتين . اما الاولى فهي جهة الادارة البطريركية . فهذه مهملة لجميع القيم الروحية الخلقية الفلسفية ، التي تقوي كيان الجماعة وتخلقه وتجدده .

والثانية هي ناحية الرعاة الروحيين في المراكز والقرى في فلسطين وشرقي الاردن . هنا نجد قادة لا يصلحون لانهم لم يهيأوا التهيئة الكافية ، ولم يحضروا التحضير اللازم . فضلاً عن ذلك فان هؤلاء الرعاة الروحيين وضعتهم القيادة العليا في وضع اقتصادي لا يمكنهم من القيام بواجبهم او بعضه .

---

(١) العدد الثاني من المجلد الاول (شباط ١٩٤٧)

فهذا كاهن احدى القرى يكتب الى ناد ارثوذكسي عربي في فلسطين ينبئه بان معاشه الشهري هو ثلاثة جنيهات فلسطينية او ما يقرب من ذلك . فكيف يمكنه ان يربي اسرته ، ويقوم باود الجميع ، ثم يتفرغ بعد ذلك للعناية بمشاكل رعيته في القرية ؟

وقد حل النادي مشكلته موقتاً بتبرع ، لكن التبرع لا يحل المشاكل . ان التحسين المطلوب اساسي . يجب ان تحسن طريقة الاختيار ، ويجب ان تحسن موارد الرزق .

وهذه ليست الناحية الوحيدة في الاهمال . ان نظرة واحدة الى الكنائس وحالتها تقنعنا بان الاهمال يتناول جميع نواحي الحياة الدينية في الملة .

ونحن ندعو الى تحسين الحالة : تحسين حالة الرعية والرعاة ، واصلاح الكنائس الموجودة ، وبناء الكنائس الجديدة . ونحن واثقون من ان هذه المسئلة جزء رئيسي من القضية الارثوذكسية العامة ، وانها متى حلت هذه حل معها اجزاؤها .

نحن مقتنعون بهذا ، لكن هذا لا يمنعنا من التعرض لنواحي الضعف املاً في اصلاحها .

وما دمنا بمعرض التحدث عن هذه الامور نرى لزاماً علينا ان نشير الى كنيسة الزرقاء بشرقي الاردن . كان حسناً من اخواننا الارثوذكس هناك ان يفكروا ببناء كنيسة ، وكان جميلاً منهم ان يطلبوا المعونة من الهيئات والافراد ، وكان مناسباً جداً ان تتقدم الهيئات للمساعدة وان يقدم الافراد على التبرع للمشروع .

ولكن فات هؤلاء الاخوان شيئاً هاما . فاتهم ان الملة بكاملها لم تعترف بالبطريرك ، فلماذا يوجهون النداء اليه ؟ انهم يعرفون ان العون لن يأتي منه ، فلماذا يرجونه ؟

لسنا نشك في انها كانت غلطة من اخواننا ، ولسنا نبالغ في مؤاخذتهم عليها ، ولكن نرجو ان لا يقع غيرهم في مثلها .

المحرر

✿ ✿ ✿ السماء ✿ ✿ ✿

للاستاذ ابراهيم مطر — يافا

منذ بداءة الكون والسماء تحيط بهذه الكرة الارضية وتظللها باجوائها ، ومنذ الخليقة والبشر يتطلعون الى القبة الزرقاء مشدوهين متلهفين ، وهذه السماوات الساجية منذ الازل تترنم بمجد الخالق وتسبح بعظمة مبدع الكون ومهندسه الاكبر . فما اروع الاوقات التي تصرفها في التحليق الى ذلك العالم اللانهائي لا بقصد التنجيم ودراسة الفلك بل للاعجاب والروعة ، وما اجمل الساعة التي فيها يرفع المرء بصره الى العلاء ليستوحي الاسرار ، وليسمو بالافكار وليدهش بالنظام الرائع والنواميس الازلية الخالدة . وانه لجميل حقاً ان يخصص كل انسان بعضاً من وقته ليسرح نظره في السماء فيتجرد قليلا من متاعب الارض و يبتعد عن سفاسفها وملاهيها برهة من الزمان . وقد قال احد الفلاسفة : سوف تظل قسوة الغاب مسيطرة على افكار البشر حتى يتيسر لهم ان يجعلوا للسماء نصيباً من تفكيرهم . ولا غرو فالنظر الى السماء معوان على اعلاء النفس وتساميها ، ومتى سمت النفس نالت صفاء وسكينة وحظيت بافاق رحيبة واجواء واسعة . فهذا التحليق الى فوق سواء أكان عن طريق الروح ام عن طريق الجسد سيدخل بلا شك روعة وجلالا على نفس الانسان ويثير فيه رؤى جميلة ، ويفتح امامه دنيا جديدة . وقد حدثني احد الادباء انه لما طار لاول مرة شعر بشيء غريب يستحوذ على مشاعره استفزه الى النظر الى اسفل فاطل من الطائرة التي اقلته وبصق على هذه الارض التي طالما احتضنته . فالسماء التي طار في اجوائها فتحت امام بصيرته افاقاً جديدة ذكرته بآلام الارض وصغر رقعتها وتنافس بنيها وتكالب شعوبها فبعث بزفرات عميقة وتأوهات جارحة نقلها الفضاء الى ما وراء الاثير فدوت في اجوائه حتى شقت عنان السماء وهي تتحسر على متع الارض العابرة ولذاذاتها الزائلة .

ويمتاز الانسان عن باقي العجماوات انه المخلوق الوحيد الذي يمشي ورأسه مرفوع الى فوق ، وكأن تلك التي تدب على الاربع وتطأطئ الراس تذكرنا انها تجردت عن الفكر والخيال فقنعت

بالحسيس من نتاج الارض . اما الانسان فهو صاحب عقل وروح ، وهاتان ادق ما فيه واروع قواه وهما تدفعانه الى التحليق الى فوق والشخوص الى الاعالي والنظر الى السماء . وفي تلك النظرات تطوى صفحات الحياة الدنيوية وتندمج روحه في روح الكون الواسعة وينفتح عقله امام عظمة الخالق وتناغم النظم والنواميس . ويروي لنا الذين يتسلقون الابراج انهم متى تطلعوا الى فوق لا تزيغ ابصارهم لكنهم حالما يتلفتون الى اسفل يشرفون على السقوط من قمم تلك المراقي التي صعدوا اليها . وكأن النظر الى السماء يحميهم ويقيهم شر الانزلاق ومخاطر الدوار .

وكان الانسان في جميع عصوره تواقاً الى السماء فتراه في الزمان الغابر يربط شعوره ومحوسه بابراج الافلاك واهلة الاقمار ، وظهور الكواكب واختفائها ، ولا تزال لغات العالم تحمل التعابير التي تشير الى الافلاك وتمت بصلة الى السماء . ومنذ القدم والانسان يتوق الى التحليق اليها ، فقد روت الاساطير لنا عن اجنحة من ريش صنعها ايكاروس قصد الوصول الى لألاء الشمس والتحليق في اجواز الفضاء الرحيبة . ومنذ القدم ايضاً والشعراء يتخذون السماء مدار قصائدهم ، فتسمعهم يتغنون بالبدر والنجوم والغمام وشروق الشمس وغروبها والى ما لا نهاية له من مظاهر واحوال تعكسها تلك القبة الزرقاء . وقلما تقرأ رواية تتجرد حوادثها عن ذكر الليالي الصافية والنجوم اللامعة والقمر المنير ساعة اجتماع الحبين واتحاد القلبين بعد طول نأي او فراق . في حين انه متى دارت معركة او صرع البطل نرى السماء تشارك ابناء الارض في مصابها ، وللحال يصور لنا الروائي الفنان السماء المضطربة وتجمع الغيوم السوداء وهبوب الريح العاصفة . ولا عجب في كل هذا فللسماء تأثير كبير على نفوس الشعراء والموسيقيين والروائيين وشتى انواع الادباء . ولفيثاغورس نظرية طريفة في موسيقى الكون فقد كان يعتقد ان حركات الكواكب تخرج انغاماً عذبة ، وان في تجاذب الافلاك تناغماً عجيباً لا يسمعه البشر لانحباس روحهم ضمن ذلك الغلاف الارضي لكنه حالما تنعتق النفس الاثيرية وتتجرد عن ذلك الجسم الترابي تسمع ذلك الانشاد البديع وتلك الموسيقى العذبة .

وللسماء تأثير كبير على معتقدات الناس فهم رأوا في آفاقها الرحيبة منتهى رحلتهم وملتقى مآبهم بعد هذه الحياة الارضية ، فهي فردوسهم وجنة نعيمهم ، فيها يلقون ثوابهم عما لحق بهم من ظلم وحيف على هذه الارض . وكان لهذه العقيدة اثر كبير في تصوراتهم وها معظم شعوب الارض

تجعل من السماء محجتها وفردوسها بعد هذه السفرة القصيرة التي يقضيها ابناؤهم على وجه الارض . ولا تظهر السماء بمظهر واحد فالسماء عند صفوها توحي للمرء بساطة الروح وسكينة النفس ، والسماء عند برقها ورعدها تملأ النفس جلالاً وروعة ، والسماء المشرقة الداجية تبعث بالنور والاشعاع الى ظلمات النفس الحزينة وما اكثر المظاهر التي تكشف للعين الحساسة عن روائع السماء ومعانيها السامية . فتلك العين الصغيرة التي تعودت النظر الى السماء تنيل صاحبها قوة واتساعاً ، وتملأ ايامه حلاوة وعذوبة ، ففي تطلعها الى العلاء تنسيه متاعب الارض وهمومها وعسف الطغاة وكبرياء الزعماء ، وفي الشخوص الى فوق تذوب النفس في مشاهد الروعة ، وتتسامى الروح الى مراق الكمال والجمال وفي اجواز السماء تندمج النفس الحزينة الكئيبة بمظاهر السكون الخلابة وتتفجر من النفس الخائرة قوى عجيبة وعزيمة جديدة .

فيا ايها الانسان الذي تخرج الى مزرعتك ومعاملك كل يوم ، ويا ايها المسافر على ظهر جوادك او متن سيارتك ويا من تسعى الى اعمالك وارزاقك على رقعة هذه الارض تعود ان تنظر الى السماء . فاطل عليها من نافذة بيتك او سيارتك او ارفع عينيك الى فوق تستمد الالهام والروعة والجلال . فلا تغض جفنك عندما ترى السماء فوقك ، ولاتقتصر على ملاحظة احوال الطقس وتقلبات الجو بل اخترق ببصيرتك الحجب الكثيفة وانظر بعينيك الحقيرة الى الذي كون السماوات ورتب الافلاك في مداراتها ، وبعث الرياح لتطرد الغمام وجعل الشمس تشرق وتغرب . ان هذه القبة الزرقاء تظللك وتوحي اليك باسرارها السرمدية فلفتة واحدة اليها في مقدورها ان تعيد الصفاء الى قلبك ، ونظرة واحدة الى العلاء كفيلة بأن تدخل في حوزتك كل رحاب السماء . فالارض تغير معالمها دوماً وعلى مدى الايام ، اما السماء فباقية على حالها لا يلحقها تبديل ولا تغيير وهي تطل من عليائها وتشير الى مبدعها وتشهد على عظمة السكون وتنطق بخلوده والسلام .

على اسوار اورشليم

لشفيق عيسى المعلوف
من العصبة الاندلسية

«زار الشاعر القدس الشريف مع والدته سنة ١٩٢٥ ، قبل سفره الى البرازيل حيث اخوته في سان باولو ، فنظم هذه القصيدة»

أكب على سورها جاثيا   واستنبىء الطلل الباليـــا
هيا كل انشدها لا أرى   لهـــا في الثرى اثراً باقيا
طواها الفنـــاء فلا معلم   يذكرك الهيكل الهــاويا
صروح اتى الفاتحون عليها   وعاثوا بها غازياً غازيـــا
وأرض أرى فوقها الغيم أحمر   والفجر من خلفها باديا
أمن وهج الدم فوق ثراها   بدا الغيم في جوها قانيا
فاني اذا دستها لتكاد   تلامس رجلي دمـــاً جاريـــا

* * *

أطوف باورشليم وارقى   الروابي أو اهبط الواديا
أشارك عيسى بأوجـــاعه   وأحنو على قبره جاثيـــا
وأصعـــد رابية العبرات   وأخـــلو بزيتونها باكيا
فيا لي من شبحٍ طائفٍ   ترى ظله رائحاً غاديـــا
كأني نبي عراه الذهول   فغادره رائياً ساهيـــا
وكانت بروق وكانت رعود   فزلزلت الجبل الراسيـــا
وصرصر بـــاب السماء   فأقبل عيسى على غيمه آتيـــا
على قدميه شذا المجدلية   ما زال منشقه زاكيـــا

تشع حواليه هـــالة نورٍ تألقها يبهر الرائيـــــا
هي السامرية القت عليه لواحظها الألق الزاهيـــا

* * *

جثوت على الطور والطرف ساج وكلمت في القمة الفــاديا
فقلت عـــلام التدني الى الارض وانتبذ الملأ العاليـــا
توخيت خلق الألوهية في الناس والناس لم يدركوا ما هيا
ألم تعجم العود قبلاً فكيف تلين عودهم القاسيــا
أما أتخموا البهم في دورهم ولم يشبعوا الجائع الطاويا ؟
ولا اوردوا ماءهم ظامئاً فقيراً ولا انعلوا حافيـــا ؟
وكم من زناة بثوب العفاف ترى انهم رجموا الزانيـــا
هو المرء احقر من ان يتوب ويدرك مأربك الساميـــا
تمنيته حملاً طـــــــاهراً فكان ولما يزل ضاريـــا
عهدت اليه بغصن السلام فاصبح في كفه داميـــا
وعاث باعواد ذاك الصليب فاضرمها شرراً حاميـــا

اشرفنا من قمة الجبل على وادي قاديشا الذي يرتكز رأسه عند اقدام الارز الخالد . وقد علا الارز الى السماء الزرقاء يطمع في عطفها ، فانحنت عليه تقبله ، وانهمرت دموع الفرح من مقلتيها ، فأشفق الارز وجبله على هذه الدموع ان تهدر فجمعها حبة حبة واودعها قلبه ، فلما ضاق صدره عنها ، انبثقت ينبوع ماء صاف مقدس ، كان له في يوم من الايام الهه ، الذي زال مع غيره من الالهة القديمة .

(صور من التاريخ العربي ص ١٠٤)

الانسان والمناخ

للاستاذ احمد سعيدان
بالكلية الرشيدية — القدس

هل كان من ضروب الصدف ان ازدهرت المدنيات الاولى في حوض النيل وفي الهلال الخصيب ووادي الهندوس ام ان ثمة عوامل دعت الى نشوئها في هذه البقاع دون غيرها ؟

وهل كان من ضروب الصدف ايضاً ان ازدهر عصر آل تيودور في انكلترا وتعددت امجادهم على اثر استعمال الفحم في البيوت الانكليزية للتدفئة ام ان بين الامجاد والتدفئة في البيوت علاقة نجهل كنهها ولا ندرك شأنها ؟

مهما يكن جوابك عن ذلك فهاك جواباً علمياً طريفاً اقتبسه اليك من بحث للعالم الانكليزي داود برنت . وقبل ان نشرع بذكر الجواب لا بد من ان اعيد الى ذهنك مبادىء علمية بسيطة اذا كنت تسطيع صبراً .

درجة حرارة جسمك الداخلية تكاد تكون ثابتة في احوالك الاعتيادية حوالي ٩٨° فرنهيتية فاذا تعدت هذا الحد زيادة او نقصاناً شعرت بالاضطراب فالألم ، وقد يتزايد الاضطراب والألم فيكونان مرضاً ، وقد يشتد المرض ويقسو فيؤدي الى الموت . وليس بين الموت والحياة الاعتيادية الهادئة المستقرة المنتجة سوى فرق بسيط في درجة حرارة الجسم . ولكن جسم الحي مصنع تتولد فيه الحرارة على الدوام ، تولدها عملية الهضم وحركة العضلات والتنفس والدورة الدموية ويولدها كل مجهود عضلي صغيراً كان او كبيراً وتولدها شتى التفاعلات الكيماوية التي لا تفتأ تجري في الجسم الحي . فأين تذهب هذه الحرارة وكيف لا تعمل على رفع درجة حرارتنا الداخلية ؟

الجواب بسيط فكما ان ثمة عوامل لتوليد الحرارة في الجسم نجد عوامل اخرى تعمل على نقلها الى الجلد ، ونشرها في الفضاء بالاشعاع وبالحمل ، وعوامل تعمل على تبريد داخل الجسم بخفض درجة حرارة الجلد ، فالعرق الذي يبدو على سطح الجلد يتبخر وبتبخره يبرد الجلد كما تبرد ارض الغرفة اذا اذا اصابها رشاش الماء فتبخر عنها . ولا يكون المرء يتمتع بالصحة الطيبة والنشاط الوافر الا اذا انتشرت منه الحرارة بالسرعة التي بها تتولد في جسمه بحيث تبقى درجة الحرارة الداخلية ثابتة لا يعتريها تغير محسوس . ومن اطرف الامور ما نراه من استعداد فطري في الاجسام الحية للاحتفاظ بدرجة

حرارتها الداخلية ، فاذا كان الحو بارداً تقلصت انابيب الدم الشعرية التي تتصل بالجلد و بتقلصها يقل ما يعطيه الجسم من حرارته للجو وتنقص كمية العرق . وكثيراً ما يصاب الجسم في احوال البرد الشديد بقشعريرة ما هي الا مجهود عضلي لتوليد حرارة في الجسم تعوض عما يعطيه قسراً للجو البارد الذي حوله . واذا كان الجو حاراً او كان المرء يقوم بعمل عضلي شاق رأيت العرق يتصبب عن جبينه وعن جميع اجزاء جسمه كيما يتبخر فيبرد الجلد و يبرد معه الجسم وكلما ارتفعت درجة الحرارة تزايد العرق فاذا لم يعوض ذلك عن ارتفاعها قل ضغط الدم وزاد خفقان القلب وقد يموت المرء بما يسمى ضربة شمس .

اذن فبين الجسم الحي والجو الذي يعيش فيه هذا الجسم صراع دائم لا يستقر ولا يهدأ الا اذا كانت درجة حرارة الجو واحواله الاخرى موائمة مؤاتية لبقاء درجة حرارة الجسم الداخلية ثابتة اعتيادية . اقول درجة حرارة الجو واحواله الاخرى ذلك لان عوامل اخرى غير درجة الحرارة تساعد الجسم الحي على بقاء درجة حرارته ثابتة او تعاكسه . فكمية الرطوبة في الجو ذات شأن لا يخفى وكذلك حركة الرياح . انهما تعينان مدى تبخر العرق والسرعة التي بها يتم هذا التبخر .

وليس يسهل ان نحدد احوال الجو الملائمة للعيش الهادىء المنتج فذلك يختلف من شخص الى شخص وهو يختلف في الشخص الواحد حسب نوع عمله ومكانه . فالمرء في بيته يتطاب جواً غير جو مصنعه او متجره ، والمرء في فراشه يتطاب جواً غير جو الحقل الذي يكون فيه او المكتب الذي يمارس فيه اعماله . وكذلك يصعب ان نحدد صفات الجو الذي يمكن ان يقال انه ادعى لراحة الجسم . فالراحة امر يصعب تحديده بوضوح تام تحديداً ينطبق على كل شخص ويلائم كل نفس .

غير ان الاستاذ برنت قام بطائفة من التجارب يشفعها من الدقة العلمية ما يدعو الى الثقة بقوله ، فاستعرض العوامل الجوية التي تدعو الى راحة الجسم او تحد منها وادى به البحث الى ان الجو المثالي من هذه الناحية هو ذلك الجو الذي قلما ترتفع فيه درجة الحرارة فوق ٧٥° فرنهيتية ، وقلما تنخفض دون ٣٢° فرنهيتية ، اي دون الحد الذي يمكن معه بالتدفئة رفع درجة الحرارة داخل البيوت الى ما بين ٦٠° ، ٧٠° فرنهيتية .

ويقدر الاستاذ برنت انه اذا كانت درجة الحرارة في خارج البيوت حوالى ٦٧° فرنهيتية فان المرء الذي يرتدي ثياباً متوسطة الكثافة يستطيع ان يسير بسرعة ٤ اميال في الساعة دون ان يجهده

العرق او يرهقه التعب الناشيء عن عوامل جوية .

وبعد ان توصل الى هذه النتائج راح يبحث في اكثر بقاع الارض مطابقة لهذا الوصف فلقي أن نيوزيلندا يتوفر فيها ذلك الى حد بعيد فمعدل درجة الحرارة فيها في اشد شهور السنة حراً يتراوح بين ٦٢° و٧٠° وهو في اشد شهور السنة برداً يتراوح بين ٤٥° و ٥٢° والى ذلك عزا الاستاذ برنت ما يعرف عن نيوزيلندا من انها اقل بقاع الارض في نسبة الوفيات بين الرجال والاطفال .

ولقد ذهب الى ابعد من ذلك . ذهب يبحث عن بقاع الارض التي تلائم ما توصل اليه من النتائج من غير تدفئة فلقي ان القاهرة وفلسطين ومراكز الحضارة الاولى من اشورية وسوميرية وفارسية وهندية يتوفر في اجوائها هذا الوصف في معظم ايام السنة . فاستنتج سبب نشوء الحضارات الاولى في تلك البقاع دون غيرها . وهو يرى ان الحضارة لم تنتقل الى بلاد اليونان والرومان الا عندما جهد الناس هنالك لتدفئة البيوت وانها انهارت بانهيار الانتاج العقلي في الامبراطورية الرومانية في اواخر ايامها عندما لم يعد لدى الناس من الادراك ما يكفي للاهتمام بالتدفئة اهتماماً كافياً . فبذا انتقلت الحضارة على يد المسلمين الى مواطن اكثر ملاءمة واستقرت هنالك ولم تعد الى الغرب الا في القرن الثالث عشر عندما عاد الناس لاستعمال الطوب في البناء والزجاج للنوافذ واستعمال الموقد والمدخنة .

والاستاذ برنت لا يجد من الغلو في شيء ان ينادي بان انكلترا مدينة بكثير من امجادها لوفرة الفحم فيها ولا يلقى صعوبة في ايجاد السبب في ان مجد انكلترا بدأ يبنى في القرن السادس عشر عندما عم استعمال الفحم في التدفئة .

وهو يعزز قوله بظاهرة يعرفها الخبراء فيقول : الا ترى ان الرجل الابيض الذي تقضي عليه ظروفه بان يعيش في منطقة حارة قد يقضي واولاده فيها عمراً صاخباً وحياة حافلة منتجة ، الا ان اولاد اولاده يأتون كسالى غير منتجين غير فعالين .

هذه نظرية لا غير ، وهي ككل نظرية عرضة للنقض والبحث والتمحيص والتغيير والتعديل ، ولكن مما لا شك فيه ان للجو علاقة بالمنتوج الفردي والجماعي قوية الاصر ولعلها اقوى مما يظن المرء اول الامر . ثم ان مما لا شك فيه ان هذه العلاقة اذا درست دراسة علمية في قطر تؤدي الى رفع مستوى ذلك القطر الثقافي والعقلي والى زيادة انتاج سكانه وصلاحهم للحياة عندما يسعى الافراد للاستفادة من هذه الدراسة في حياتهم واعمالهم .

الشرق الادنى

مشاكله ومستقبله(١)

البحوث العلمية لها في الغرب ، بالاضافة الى المدارس والجامعات ، مؤسسات خاصة ، تتجه كل واحدة منها الى درس ناحية من نواحي الحياة الفكرية . فهناك الجمعيات الفلسفية والمعاهد الادبية والمؤسسات التاريخية وغيرها . وقد يبلغ في بعض هذه المنشآت الحد في التخصص ان تقتصر على درس منطقة صغيرة من مناطق العالم الرحب الواسع .

ومن هذه الهيئات العلمية مؤسسة هاريس الاميريكية القائمة في جامعة شيكاغو بالولايات المتحدة ، والتي تتجه في دراستها نحو الشرق الادنى اتجاهاً خاصاً ، فتعقد من اجل ذلك مؤتمرات سنوية يعرض فيها كبار المختصين نتيجة ابحاثهم في شؤون تلك البلاد المختلفة .

والكتاب الذي بين يدي الآن ، والذي رأيت ان احدث القراء عنه هو مجموعة محاضرات القيت عن بلادنا في احد هذه المؤتمرات السنوية مؤخراً . وليس غريباً ان تكون هذه البلاد موضع عناية الباحثين والهيئات ، فقد اجتمعت لهذه الاقطار كل المؤهلات التي تفرض نفسها على الباحثين فهي مهمة للمشتغلين بالشؤون الدينية ، وهي لاذة لرجال الاثار والتاريخ ، وهي موضع اهتمام اهل المال والاعمال ، وهي محط انظار ارباب الحرب والقتال ، وهي شوكة للمشتغلين بالسياسة . والذي يبدو غريباً فيما نعتقد هو قلة عدد المهتمين بالشرق الادنى اهتمام معرفة دقيقة من هذه الفئة الاخيرة ، فئة رجال السياسة .

قلت ان الكتاب مجموعة محاضرات ، ولاتقدم اليكم اولا بتعريف المحاضرين . فاولهم الكونت سفورزا الايطالي . وسفورزا ورد اسمه كثيراً في السنوات الماضية ، إذ كان يقود حركة ايطالية الحرة في الولايات المتحدة . وهو اليوم وزير الخارجية الايطالية . وهو فضلاً عن اضطلاعه باعباء السياسة يعتبر من كبار العارفين بالتاريخ المعاصر في ايطالية ، ومن كبار احرارها . والثاني هو الاستاذ

(1) The Near East: Problems and Prespects. Ed. P. W. Ireland, Chicago.

جب . ومع ان اسمه لم يرد كثيراً في اخبار الحرب والسياسة ، فالقراء يعرفون عنه الشيء الكثير من ابحاثه في الادب العربي وتاريخه ، وخاصة الحديث منه . وكثيرون هم الذين تتلمذوا على جب في جامعة لندن ، وانا واحد منهم . والثالث هو الاستاذ بارون ، استاذ التاريخ اليهودي في جامعة كولومبيا باميركا . والرابع وبستر ، استاذ التاريخ الدولي بجامعة لندن . والخامس هو رايط ، الاستاذ بجامعة شيكاغو .

فانت ترى ايها القارىء الكريم ان هؤلاء الناس أصحاب اسماء ضخمة . والابحاث التي تناولوها هي : الشرق الادنى في السياسة العالمية ، والتغير الاجتماعي في الشرق الادنى ، ومستقبل الوحدة العربية ، وامال السلام في فلسطين والسياسة البريطانية في الشرق الادنى ، ومستقبل الشرق الادنى .

ويقول كاتب المقدمة ، ومحرر الكتاب ، الاستاذ ايرلند ، ان القصد كان ان تعرض القضايا الشرقية من النواحي الثلاث الهامة — الناحية العربية والناحية البريطانية والناحية اليهودية ، بحيث تصبح الصورة كاملة . واذا فعلت ايها القارىء الكريم كما فعلت انا ، فقرأت المقدمة القصيرة بعد ان فرغت من الكتاب كله ، خطر لك هذا السؤال حالاً «هل عرضت النواحي عرضاً تاما موفقا صحيحا ؟» اما الناحية البريطانية فقد عرضها وبستر الانكليزي ونقدها . واما الناحية اليهودية فقد تناولها بارون اليهودي فوفاها حقها من وجهة نظره ، بحيث تقرأ هذا الفصل فتحسب ان الدنيا هي هذه القضية . ولكن من تكلم عن القضية العربية ؟ الاستاذ جب الانكليزي . ونحن نعرف جب ونحترمه ونقدر اراءه قدرها لكننا نأسف لان فرصة مثل هذه اضاعها المسؤولون عن مؤسسة هاريس من ايدينا . وما نحسب الا ان الحصول على عربي يتحدث عن هذه الامور ليس مستحيلا على مؤسسة غنية .

ومع ذلك فانني ادعو اخواني العرب الذين يقرأون الانكليزية الى قراءة هذا الكتاب . ففيه امور عنهم من حقهم ان يعرفوها ، فيقبلوا منها الصحيح الحق ، ويدحضوا التهم الباطلة .

ولست احسبكم تنتظرون مني خلاصة لهذا الكتاب ، وهذا في الحق يحتاج الى غير مقال واحد ، فكيف به وهو مقال واحد صفحاته معدودة ؟ واذن فلننتقل معاً من فصل الى آخر نطوف بابحاثه ، نلتقط زهرة هنا وشوكة هناك ، ونصيب حقيقة هنا وتهمة هناك ، ونلقم خبزة هنا وحجراً

هناك . وانت لا تقرأ في هذه الايام كتابا عن الشرق الادنى الا وانت واجد فيه هذه كلها مجموعة ، الزهور والاشواك والحقائق والتهم والخبز والحجارة . وانما العبرة بما يكون في الكتاب من واحد من هذه الانواع بالنسبة الى الانواع الاخرى .

فالكونت سفورزا يشير الى ان الشرق الادنى والاوسط يتكونان من عالمين — الواحد عربي والآخر غير عربي . فتركيا وايران وافغانستان لها حياة خاصة . اما سورية والعراق ومصر وشمال افريقية والجزيرة العربية — كل هذه البلاد عربية . وهي تتمتن بينها الروابط وتتقوى بينها الاواصر يوماً بعد آخر . وهذه الوحدة العاطفية عنده مفتاح لفهم مسائل الشرق الادنى وحلها . ويتناول قضية الانتداب ، ويمثل عليها بسورية ، فيرى ان السوريين كانوا ناقمين على فرنسا ، وعندما يعلل ذلك يذهب فيه مذهباً قريباً جداً من الصواب ، وهو ان السوريين كان يمكنهم ان يستقلوا من زمن طويل ، ولكن فرنسا هي التي عارضت . والكونت سفورزا يرى ان للعرب مستقبلاً عظيما . فهو لا يستبعد ، مثل غيره من رجال السياسة ، ان يعيد العرب ايام عظمتهم في دمشق وبغداد وغيرهما . وعندها يقدمون للعالم رجالا من قادة الفكر على نحو ما فعلوا من قبل . ويرى لذلك ان «العروبة» و «الروح العربية العامة» ليست خطراً كما يتصورها الساسة ، ولا «بعبعا» يرتعب منه ولكنها حقيقة حرية بالافادة منها . لكن سفورزا ، مثل غيره من المشتغلين بالشؤون العامة في الغرب ، لا يتعفف عن ان يصم الحركات الوطنية في العالم العربي «بانها ناتجة عن دعايات اجنبية» . هذه قصة سمعناها كثيراً . فكأن هؤلاء العرب ولهم ما لهم من التاريخ العامر واللغة الخالدة والادب الحي والحيوية القوية الفعالة ، كأن هذا كله لا يكفي لان يحمل آلافاً منهم على الاعتقاد بحقهم في وطنهم وقوميتهم ، فيحتاجون الى صوت اجنبي لينبههم . وقد نسي هؤلاء ان العرب لما فكروا بحياتهم القومية في العصر الحديث ، لم تكن المانيا ولا ايطالية قد توحدتا بعد ، ولم يكن كثيرون من قادة السياسة والحرب قد ولدوا بعد .

لقد اطلت وقوفي عند هذه النقطة ، لانها تتكرر حتى في هذا الكتاب الصغير خمس مرات . وقد سمعناها مؤخراً عشرات المرات . واحسب انها مسئلة يجب ان تصحح في كل مرة نعرض لها في حياتنا اليومية .

ولنترك سفورزا وننتقل الى جب الذي كتب فصلين في الكتاب . فتناول في احدهما التغير الاجتماعي وعرض في الثاني لمستقبل الوحدة العربية . والذي استطيع ان اقوله ان هذين الفصلين اوضحا لي بعض مشاكل لم اكن قد تنبهت اليها من قبل . ولعل قراء الكتاب يجدون شيئاً من هذا . ولو انني كنت احب ان الخص جزءاً خاصاً من هذا الكتاب لاقتصرت على تلخيص واحد من الفصلين . فالرجل يعرف الشرق لا من اختباره فحسب ، ولكن من كونه يستطيع ان يقرأ لغته ويفهم مفكريه وادباءه وصحفه . فهو يرى ان التغير الاجتماعي في الشرق العربي كان «عظيماً بعيد الأثر . . وسيستمر عمله في المستقبل بحيث يكون تأثيره اعمق وابعد» . ويحلل هذا التغير ، ويعرض لنواحيه ، والى امتزاج «التقاليد القديمة الحميدة» في الشرق بالفكر الاوربي الحديث ، في الشؤون العسكرية والحربية والادارية والاقتصادية والثقافية . ولكن بسرعة وباختصار اقتضتهما ظروف المحاضرة . اما نوع هذا التأثر والتأثير فانت تستطيع ان تكتشفهما لنفسك ايها القارئ الكريم .

ومن النواحي التي يهتم بها هو الدور الذي يمثله الاسلام ، لا في الشرق فحسب ، ولكن في العالم . فهو يرى ان الاسلام هو الذي يسوي في العالم بين الرأسمالية القوية والشيوعية الجامحة . وهذه قضية حرية بان تنال من عنايتنا الشيء الكثير .

لكن جب تجنى على « العروبة » تجنيا كنا نحب لو انه تلافاه . فقد وصفها بانها قوة غاشمة منفجرة غير متسامحة . ولعل الذي قاده الى ذلك انه لم يجد في برامج دعاة العروبة اهتماماً بمشاكل الحكومة وغيرها . ولكن جب نسي ان الفكرة هي التي تخلق الباقي ، وان الدعوة في مثل هذه الناحية انما هي دعوة الى القلب ، وان البرامج وغيرها تأتي فيما بعد . على انه بعد ان يفند حجج المقاومين للوحدة العربية السياسية ، ويبين الاحوال الخاصة الحاضرة والعوامل الجامعة والمفرقة ، بعد ذلك يخلص جب الى ان العرب ان فاتتهم الوحدة التامة الآن ، فامامهم الاتحاد السياسي ، على انه خطوة الى الطريق السوي . ويرى ان يكون الاتحاد ثقافياً ، اقتصادياً ، عسكريا . وعنده ان هذه كلها تمهد الطريق للوحدة السياسية الاقتصادية العسكرية الثقافية .

ولنترك بارون وفصله عن اليهود ، ان الفصل فيه اغراض ، وما كان المغرض الا مخطئاً في حق خصمه . ولكن ليقرأه الذي يقرأ الكتاب ليعرف منه كيف تصور القضية ، وكيف يتجنى على

اهل البلاد الشرعيين .

وقد ظل امامنا فصلان . السياسة البريطانية في الشرق الادنى ، ومستقبل الشرق الادنى . وصاحب الاول وبستر . وهو شديد النقد للسياسة البريطانية في ادارة المستعمرات عامة ، وفي الشرق خاصة . فهو يتهمها في انها قصرت في الناحية العمرانية في البلاد العربية التي وكل اليها امرها . وما اكثر ما انفقت من الاموال ، ولكنها انفقتها في سبيل الحروب او اخضاع الثورات ، بدون تحسين الزراعة والحياة الاقتصادية والتعليم . ويرى وبستر ان احد الحلول الرئيسية للشرق الادنى هو ضم وحدات منه الى بعضها البعض بحيث يقارب بينها بدل ان يباعد . ولكن وبستر يرى في قضية اليهود في فلسطين رأياً غير رأينا ، ولو انه اقل تطرفاً من غيره .

والفصل الاخير يتناول المستقبل الذي ينتظر هذه البلاد . ويقيسه الاستاذ رايط على اسس مختلفة . فهناك القوى السياسية ، وهناك الاراء العالمية والاتجاهات المختلفة وثمة المؤسسات الدولية ، وأخيراً هناك سياسة الامم المتحدة كما يمثلها «ميثاق الاطلسي» . ونحن نعرف ان العوامل الاولى فشلت فيما يتعلق ببلادنا ، لانها بدل ان تحل المشكلة خلقت لنا مشاكل . فهل لنا ان ننتظر حلاً صحيحاً لقضيتنا ، وفهماً لامورنا على ضوء ميثاق الاطلسي ؟

سؤال نوجهه للاستاذ رايط فلا نجد عنده جوابا . فهل نجد هذا الجواب عند غيره ؟

ان الجواب نجده في انفسنا . ونحن كلما قرأنا كتباً عن بلادنا ازددنا اعتقاداً بوجوب العودة الى انفسنا للحصول على الحلول لقضايانا والاجوبة لاسئلتنا[١] .

هذا ما افدته من الكتاب . ولعل غيري ممن يقرأونه يفيدون غير ذلك .

س ...

(١) ستعرض مجموعة من قضايا العالم العربي على هيئة الامم المتحدة قريباً ، فلننتظر !

اسباب الموت سنة ١٩٠٠ و ١٩٤٦

بقلم الدكتور نعمه نخو

١٩٠٠	١٩٤٦
١) التهاب الرئتين	١) امراض القلب
٢) التدرن (السل)	٢) السرطان
٣) حميات الامعاء والقرحة المعدية	٣) انفجارات دماغية
٤) امراض القلب	٤) امراض الكلي (الزلال)
٥) انفجارات دماغية	٥) التهاب الرئتين والانفلونزا
٦) امراض الكلي	٦) الصدمات عدا صدمات السيارات
٧) الصدمات	٧) التدرن (السل)
٨) السرطان	٨) السكري
٩) الخانوق	٩) المولود قبل اوانه
١٠) المولود قبل اوانه	١٠) صدمات السيارات على اختلافها

وقد ارتفع مع هذا الانقلاب معدل الحياة او العمر من ١٧ سنة الى ٤٦ سنة في المدة نفسها .

ونرى من هذه اللائحة ما يلي : (١) ان التهاب الرئتين بفضل السلفانا والبنسلين قد انتقل من درجة اشد الامراض فتكاً سنة ١٩٠٠ الى الدرجة الخامسة سنة ١٩٤٦ ، ولو لا ضم حوادث الانفلونزا اليه لكان قد سقط الى درجة احط . (٢) ان داء التدرن او السل قد انحط من الرقم الثاني الى السابع بفضل التشخيص الباكر والتحسين المستمر في المعالجة . (٣) ان حميات الامعاء كالتيفوئيد والكوليرا وما شابهها قد تلاشت من قائمة الآفات العشر الاولى القتالة تماماً وذلك لتقدم علم حفظ الصحة ومحاربة الذباب والمحافظة على نقاوة الماء وتعميم استعمال المجارير والتلقيح ضد هذه الامراض ، اما امراض القلب فقد انتقلت من درجتها وكانت الرابعة سنة ١٩٠٠ الى الاولى وليس ذلك ناتجاً عن ازدياد هذه الامراض بقدر ما كان سابقاً لها في الماضي من الامراض ، اي ان امراض القلب لم تتزايد بل سواها من الامراض اصبح اقل من الماضي . وكذلك فان الانفجارات الدموية التي تؤدي عادة الى الفالج قد ارتفعت من الدرجة الخامسة الى الثالثة بسبب قلة الامراض التي سبقتها في الماضي . اما امراض الكلى فقد تقدمت من الدرجة السادسة الى الرابعة وربما كان الازدياد مسبباً عن تعاطي المشروبات والمسكرات . وبينما لا نرى فرقاً عظيماً في درجة الصدمات كالسقوط من مكان مرتفع او الاصطدام نرى ان حوادث السيارات قد اضيفت الى قائمة الافات العشر المميتة الاولى ونرى مرض الدفتيريا (الخانوق) قد حذف من القائمة المميتة . اما السرطان وكان الثامن فقد اصبح الثاني وربما يرجع ذلك الى عاملين : (أ) ان المرض قد ازداد (ب) ان تشخيصه اصبح اسهل من قبل ولربما كان بعض الذين يموتون في السرطان يعزى سبب وفاتهم الى مرض آخر . (جريدة لسان الحال البيروتية ١٧/١/٤٧)

«الحارس»

للاستاذ خليل بيدس — القدس

وقف القطار السريع في المحطة ، فخرج مدير المحطة كالمجنون ، لان هذه المحطة لم تكن من المحطات الكبرى التي يجب ان يقف فيها القطار السريع وما كاد يصل الى فناء دار المحطة ، حتى رأى المدير العام للمصلحة قادماً ، وقد كان من ركاب القطار ، وكانت نار الغضب تتقد في عينيه . . فازداد خوف مدير المحطة ، ووقف ينتظر انقضاض الصاعقة .

وكان المدير العام قد صاح به ، وهو لا يقوى على ضبط نفسه من شدة الانفعال : افتحوا الطريق للقطار السريع ليواصل سيره ، ثم ادع لي الحارس . وغاب مدير المحطة قليلاً ثم عاد فقال : لقد أصدرت الامر ، وسار القطار في طريقه ، ولا يلبث الحارس ان يحضر ، بعد ان يكون قد استقبل القطار التجاري وفتح له .

فهز المدير العام رأسه وقال : ثلاثون سنة تقضت علي وانا في هذه المصلحة ، ولم أر إهمالاً ، ولم أر خروجاً على النظام ، كالذي رأيته اليوم . . القطار السريع مقبل بركابه الذين يبلغ عددهم الثلاث مئة ، والحارس غائب . . . هذا الحارس الذي تقوم واجباته كلها على ان يكون متأهباً وواقفاً في مكان حراسته ، ليفتتح للقطر طرقها في مواعيدها . . ولو ولم أر بنفسي هذا الخلل الفاضح ، لظل القطار جارياً قدماً ، الى ان يتدهور ويتحطم وتقع النكبة . . . وقد رأيت بعيني هذا الحارس ساعة تركه فجأة مكانه في تلك اللحظة الحرجة ، وعدا الى جهة الساقية ، ثم غاب فلم أره . . . فأصدرت الاوامر في الحال للسائق ان يقف بالقطار في محطتكم ، الى ان يعود هذا الحارس «الامين» ويفتح الطريق . . ولست أدري ، كيف يمكن ان يجري مثل هذا الامر ، وما هو العقاب الشديد الذي يجب ان يناله هذا الرجل جزاء اهماله ، وما يجب ان يكون من نصيبك انت ايضاً من هذا العقاب يا حضرة مدير المحطة ، لعدم تيقظك ، وتهاونك في تداركك كل خلل قبل وقوعه . . .

كان المدير العام يتكلم بهذا ، وهو يسير في فناء المحطة ذهاباً واياباً ، وقد أعياه الانتظار . .

وكان القطار التجارى في هذه المدة ، قد جاء فوقف في المحطة قليلا ، ثم تابع سيره ، وجاء الحارس مسرعاً لمقابلة المدير العام ، وقد اخذ منه الخوف كل مأخذ ، وكانت امائر التعب والاعياء الشديد ظاهرة على وجهه ، والماء يسيل من ثيابه ، وهو يرتجف من البرد . .

وما وقع نظر المدير العام عليه ، حتى صاح به بغلظة ثم اشار اليه ان يتبعه ، ودخل مكتب المحطة وهو يفور من الغضب ، وفي اثره مدير المحطة والحارس . . وقد قال للحارس وهو ينظر اليه شزراً : في اي وقت يصل الى هنا القطار السريع كل يوم ؟

قال : في الساعة الثالثة تماماً يا سيدي

قال : وهل جاء اليوم هذا القطار في الوقت المعين له ؟

قال : نعم

قال : واين كنت اليوم يا سيدي الحارس ، ساعة أقبل القطار ، وليس لاحد ان يفتح له ؟

قال : هذا ما قدر ان يكون يا سيدي ، وأنا اعتذر . .

قال : وهل في هذا الذي تريد ان تعتذر به ، ما يبرر عملك ؟

قال : لابد لكل رجل في موقفي ان يفعل ما فعلته

قال : انك لا تزال تخاطبني بالالغاز ، فأرجو ان تطلعني على الامر بتفاصيله . . انك كنت في مكان الحراسة ، وقد رأيت القطار مقبلا وسمعت صفيره . . فما الذي دهاك ، حتى تركت فجأة مكانك ، وجريت الى الساقية تسابق الرياح ، دون ان تفكر في عاقبة ما انت فاعل ؟

قال : لاني رأيت في تلك اللحظة طفلاً قد سقط في الماء ، فأسرعت لانقاذه ، وقلبي يكاد يطير شعاعاً . . وهذا كل ما في الامر . . ان هذه الساقية يا سيدي عميقة ، وكان جمهور من الاولاد يمرحون و يلعبون على ضفافها ، و يتسلقون الاشجار الباسقة النابتة هناك ، وانا اراقبهم واشير اليهم ان يبتعدوا و يلعبوا في مكان آخر ، ولكنهم لم يسمعوا ولم يذعنوا ، الى ان وقعت الحادثة وسقط احدهم في الماء . . وكان رفقاؤه قد تفرقوا عنه من شدة الذعر . . ثم عادوا واخذوا يصيحون و يعولون ، وقد ارتبكوا ، وكانت اصواتهم تصم الآذان . . ولو لم أبادر انا اليه وأنزل الى الساقيه بثيابي ، لغرق الطفل لا محالة . . ومن لا يفعل يا سيدي المدير ما فعلته انا . . وقد انتشلت الطفل

وهو في آخر رمق من الحياة . . ثم تألب علي الاولاد واخذنا في معالجة الغريق بالطرق المعروفة ، حتى أخرجنا الماء من جوفه ، واعدناه الى رشده بعد جهد كثير . . فتركته بين ايدي رفقائه ، ليأخذوه الى بيته ، وعدت ادراجي في مثل طرفة العين . . وكان القطار السريع قد جاء ووقف على غير عادته في محطتنا . . والظاهر ان احداً غيري قد فتح له فواصل سيره . . فتنفست الصعداء وشكرت الله ، وكنت راضياً وسعيداً ، لاني أنقذت نفساً من الموت ، ولم تقع الكارثة التي كان مقدراً لها ان تقع . .

كان المدير العام يسمع ، وقد خف اضطرابه وقال للحارس : انك كنت راضياً وسعيداً . . واما انا فلست براض . . وهذا آخر يوم من ايام خدمتك عندنا واذا كنت لا أوقع بك العقاب الذي تستحقه ، فذلك لاجل الخدمة الطويلة التي لك في هذه المحطة .

قال : ولكنك تذكر يا سيدي المدير اني قد خدمت هذه المصلحة عشرين سنة كاملة بكل امانة ونشاط ، لم أهمل قط شيئاً من الواجبات المفروضة علي ولم اتهاون في شيء . . اما اليوم فقد حملني على ما فعلت الواجب الانساني الذي لا مفر منه . . رأيت طفلا يغرق . . أفلا انسى في تلك اللحظة كل شيء من الظروف والواجبات ، واندفع لانقاذه ؟ وهل من المروءة ان أرى ما رأيت ، ولا أتحرك ؟ بل أظل في مكاني خالي البال ؟ لا يا سيدي المدير ! ان هذا فوق طاقتي . . ولا يمكن أحداً ، ولو كان قلبه من حجر ، الا ان يفعل ما فعلت . . لقد عدوت وانقذت الطفل ، دون ان أفكر في شيء . . وهل كان عقلي معي ، ساعة رأيت ما رأيت ؟

قال : ان عملك شيء ، والخدمة عندنا شيء آخر . . اننا نتخذ الحراس والعمال ، لا لينصرفوا الى انقاذ الغرقى وإغاثة ابناء السبيل . . وانما نتخذهم ليقوموا باعمال خدمتهم لا غير . . انك بادرت لتنقذ طفلاً من الغرق ، ولكنك لا تدري انك ارتكبت بذلك امراً فظيعاً جداً ، لانك قد عرضت حياة ثلاثمئة نفس للموت .

قال : اني أدري بهذا الان فقط . . ولكني حين رأيت ما رأيت ، وحين اسرعت لانقاذ الطفل ، لم اكن أدري شيئاً مما تقول .

قال : ولهذا ، فانت لا تصلح لخدمة القطار بعد الان !

قال : وهذه السنون التي بذلت الشطر الافضل من حياتي لخدمتكم فيها ، اتذهب كأنها لم تكن ؟ سل مدير المحطة يا سيدي عن امانتي في الخدمة ، وقيامي القيام المشكور بكل عمل ، وهو ينبئك الحقيقة .

وكان مدير المحطة جالساً يسمع ، وقد تأثر لكلام الحارس ، فأثنى عليه وذكر حسن خدمته ومواظبته .

فقال المدير العام للحارس : واذا نحن تساهلنا هذه المرة ، فهل تعد بان امراً كهذا لا يمكن ان يحدث بعد الان ؟

قال : وكيف يمكنني يا سيدي ان اعد بمثل هذا ؟ أن أرى شخصاً في خطر الموت ولا أبادر لانقاذه ؟ ان هذا لا يمكن ان يكون ، ولا يمكن ان اعد به . لانه من الاعمال الانسانية التي يأتيها المرء مدفوعاً بالغريزة الانسانية المحضة ، ولا حكم فيها للعقل ، لانها من ولاية اخرى غير ولايته ،

قال : واذا رأيت القطار يكاد يتدهور ، فهل تركض لانقاذه ؟

قال : نعم ، أركض لاعمل كل ما استطيع عمله .

قال : واذا رأيت حريقاً في الطبقة العليا في بعض المنازل ، وفيها اولاد تكاد النار تلتهمهم ، فهل تسرع الى ذلك المنزل الملتهب لتنقذ اولئك الاولاد ؟

قال : ذلك لا شك فيه .

قال : ولـكنك تعرض نفسك لخطر الاحتراق ! انك ايها الرجل قد أدهشتني بهذه العواطف ! انك اذاً تسير على الدوام الى عدمك على قدمك . .

قال : هو ما تقول . . ولـكن ذلك ، او شيئاً من ذلك ، لا يخطر في البال ساعة الخطر . . بل اركض ولا أبالي ، تسوقني الى ذلك تلك القوة الداخلية التي لا تقاوم .

قال : قلت لك ، واقول ثانية ، انك لم تعد تصلح لخدمة القطار ، لانك رقيق القلب عطوف ، وقوة العاطفة فيك تفوق قوة العقل . . اننا نتخذ العمال لخدمة المصلحة ، وندفع اليهم الاجور والمرتبات ، لا ليكونوا اجراء جمعيات الاسعاف والانقاذ ، بل ليخدموا المصلحة . . ولذلك كله ، فأنت من هذه الساعة لم تعد من عمالنا ، واني أنصح لك ان تنضم الى جمعيات الرأفة والبر . .

فحنى الحارس رأسه ، ثم ودع وخرج وهو كسير القلب . . واذا بالباب جمهور من الناس كانوا في فناء المحطة يترقبون خروجه ، وقد احدقوا بشيخ هرم كان بينهم ، وقد امسك بيد صبي صغير . . فلما خرج الحارس ، قال الصبي للشيخ : ها هو يا جدي !

فدلف الشيخ اليه وامسك به وقال ، وقد تحدرت دموعه وشرق بالبكاء : أأنت هو ؟ . . أأنت هو الرجل الفاضل الشريف الذي ارسلك الله لجبر قلبي وانقاذ حفيدي هذا وقد دخل في لهوات الموت ؟ . .

ثم اخذ يده فأدناها الى فمه وعاد فقال : تباركك السماء ايها الرجل المحسن . . انك قد خلصت حفيدي هذا الصغير ، وهو وحيد الاسرة كلها ، ولولاك لكان الان طعاماً للاسماك ! . .

وكان الناس قد تحولت أبصارهم جميعاً الى الحارس ، وعلت اصوات الابتهاج من كل جانب ، واهتزت ساحة المحطة من التصفيق . . غير ان بعض الواقفين ، لم يخف عليهم ما رأوه في وجه الحارس من امائر الانقباض والغم ، فقالوا للشيخ : دعه الان وشأنه . . افلا تراه باكياً ؟ . . الا تراه حزيناً مضطرباً ؟ . . الا ترى ثيابه المبتلة ؟ . .

قال : اني أرى ما ترون ، ولكن لا بد من شكره . . ان في بيتي بقرتين حلوبتين ، وقد أمرت بارسال واحدة منهما اليك الى هذه المحطة ، فأرجو ان تقبلها هدية مني على جميل صنيعك ! .

فقال الحارس : ولكني غير باق في المحطة يا عماه ! . .

قال : ولا عجب في ذلك . . لانهم رقوك على ما يظهر سريعاً ، على هذا الجميل الذي صنعته . حقاً ان عملك هذا قد رفعك الى مقام الخالدين . . وحقاً ان رؤساءك شرفاء وافاضل ، يكافئون الخادم الامين احسن المكافآت ، وفي اسرع مدة ! ! . . .

الرملة في التاريخ

للاستاذ «ابو عمر» ، يافا

« هي احدى المدن السبع العظيمة التي احدثت في الاسلام — المسعودي »

لو درس منصف حقب التـاريخ التي مرت على بلادنا هذه منذ بدء التاريخ واختص الحقب التي توالت عليها بعد ان دخلها العرب حاملين مشاعل الحرية والنور بشيء من العناية والروية والامعان ثم اغمض جفنيه جامعاً بينهما ما استوعب خاطره من صور لتراءت له في كل ناحية معركة واستقر في كل بقعة شهيد .

لقد جبل العرب تربة هذه البلاد بالدماء وافتدوها بالنفوس والارواح وحموها القرون الطوال من كل اعتداء فحفظوها عربية خالدة على الدهر ملقية بسمع الزمان أخبار ما قاموا به من اعمال وخلفوه من تراث .

ومن مآثر العرب في هذه الديار مدينة الرملة فهي مدينة عربية خالصة اختطها سليمان ابن عبد الملك بن مروان الاموي عندما ولاه اخوه الوليد جند فلسطين . وعلى ذلك اجمع مؤرخو العرب كاليعقوبي والبلاذري والمسعودي والقلقشندي وغيرهم .

وتعرض جان سوفاجيه الى الرملة ذاكراً ان تصميمها يدل على ان العرب كانوا يستوحون منشآتهم من المدن الرومانية . وذكرها بارنولد قائلاً ان الحياة انتقلت الى هذه المدينة الجديدة بالرغم من مكانة القدس الدينية عند المسلمين فظلت قروناً عديدة مدينة فلسطين الرئيسية .

* * *

وصفوة القول ان الرملة مدينة عربية بناها سليمان بن عبد الملك في خلافة ابيه ولم يتم تمصيرها الا بعد توليه الخلافة ودعيت بهـذا الاسم لغلبة الرمل عليها . والذي اراه ان السبب الذي دعا الامويين لبناء الرملة في موقعها الحالي يعود الى مركزها الحربي المسيطر على السهل والجبل والواقع على طريق سوريا ومصر لتقوم مقام مدينة اللد التي كانت تعتبر من اهم المراكز الرومية في البلاد . وقد كانت بعد تمصيرهـا عاصمة للمقاطعة المعروفة باسم «جند فلسطين» والتي كانت تشمل الديار النابلسية والقدسية والغزية بمعناهـا المفهوم اليوم وذلك بدلاً من العاصمة القديمة «اللد» .

والرملة كغيرها من المدن العربية التي رؤي بناؤها في مختلف الاقطار المفتوحة كانت تعتبر رمزاً لظفر العروبة والاسلام وقد نزلها حينئذ كثير من القبائل العربية المختلفة فسكنوها كما اتخذها داراً له كثير من العلماء والمحدثين الذين لولا ضيق المجال لاتينا على ذكرهم .

* * *

وكأن الجهاد قد كتب على هذه الديار ولما كانت الرملة كبقية المدن العربية في هذه البلاد قطعة غير قابلة للتجزئة لذلك كان عليها ان تتأثر من كل حركة تعصف فيها او في جوارها فلا عجب ان نرى هذه المدينة قائمة قاعدة على مدى العصور . فمن ثورة تميم اللخمي الى الحروب الدامية والمعارك العنيفة التي انتهت بانتصار الفاطميين على القرامطة في معركة الرملة (سنة ٣٦٧ هـ) الى غيرها من قلاقل وجيشان .

ولم تترك الطبيعة مصائب هذه المدينة للبشر وحسب فقد كثرت الزلازل (٤٢٥ هـ) في مصر والشام فانهدم من الرملة ثلثها وخرب جامعها وخرج اهلها منها فاقاموا بظاهرها ثمانية أيام .

وحدثت زلزلة اخرى (سنة ٤٦٠ هـ) في فلسطين فكان تأثيرها على الرملة اشد من الاولى حيث هلك من اهلها خمسة عشر الفاً وبعد ذلك بسنتين حدثت زلزلة ذهبت باكثر الرملة .

* * *

وليس هنا مجال حديث عن الحقبة التي استعرت فيها الحروب الصليبية فقد لعبت الرملة في تلك الحروب دوراً خطيراً حيث كانت السيطرة عليها سجالاً ونتيجة للمعارك والحروب بين الفريقين . واستردها صلاح الدين كما استرد معظم البلاد الفلسطينية ودامت الحروب بين اخذ وعطاء حتى عقد صلح بين بطلي الفريقين صلاح الدين وريكاردوس عرف في التاريخ بصلح الرملة . وكان من شروطه ان تكون الرملة مناصفة بينهما . وبقيت كذلك حتى سنة ١٢٠٤ م ثم تبعت الافرنج الى ان استولى عليها الملك الظاهر بيبرس عام ١٢٦٦ م

* * *

وتسقط الرملة في النهاية بيد العثمانيين عام ١٥١٧ م (٩٢٢هـ) في عهد السلطان سليم الاول وللرملة في عهد العثمانيين حديث طويل .

وفي الخامس والعشرين من شهر رمضان ١٢١٣ دخلها نابليون بونابرت وانتهبها واحتلها المصريون في عهد محمد علي باشا في تشرين

الثاني ١٨٣١ م وحدثت بعد ست سنوات زلزلة اهتزت لهـا البلاد واصاب الرملة منها بعض الخراب .

* * *

وكان الامبراطور غليوم الثاني في طريقه لزيارة بيت المقدس يوم مر بالرملة في ٢٨ تشرين الاول ١٨٩٨ م ونزل في المضارب المعـدة له ولحاشيته امام الجامع الابيض .

وفي الخامس عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٧ استولى عليها البريطانيون ولا يزالون .

واهم ما يستدعي الانتباه في الرملة الجامع الابيض ومئذنته واعني به الجامع الذي شيده باني المدينة سليمان بن عبد الملك وهو اليوم خراب . وكان مبنياً على البقعة التي ما زال عليها والمئذنة العـالية التي ترى في الجنوب الغربي من المدينة . وقد اقيمت المئذنة المذكورة في سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون التاسع من ملوك المماليك البحرية

وفي الرملة ضريح الشائع بانه لسيدنا الفضل ابن العباس بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انني ارجح بان القبر هو للوزير العباسي (الفضل بن جعفر) الذي مات في الرملة سنة ٣٢٧ هـ .

* * *

هذا عرض سريع جداً لهذه البلدة العربية الاصيلة التي انجبت على مدى العصور عدداً كبيراً من العلماء والمحدثين والفقهاء والادباء والشعراء وضلت كما يقول ف. بارتولد قروناً عديدة مدينة فلسطين الرئيسية وشهدت المعارك الكبرى والحروب الشعواء وخاضت غمارها دفاعاً وهجوماً والتي شهد لها الرحالون المسلمون وغيرهم بالجمال الوسيم والخير العميم .

والمجال هنا مجال تلميح لا توضيح وشعوراً بذلك اسرعت بوضع هذه الكلمة الخـاطفة تلبية لدعوة «المنبر» الكريمة .

زوار سورية في القرن السادس عشر

للاستاذ نقولا زياده

يمثل القرن السادس عشر نقطة تحول في تاريخ سورية . ففيه قضي على سلطان المماليك ، وحل مكانهم الاتراك العثمانيون . وفيه اهتدى البرتغاليون الى طريق الهند الجديدة ، بالدوران حول افريقية . وترتب على ذلك تحول التجارة عن سورية ومصر ، وانقطاع مورد رئيسي من موارد الثروة عن هذين القطرين . ولم تكن سورية ومصر وحدهما ضحية هذا الاكتشاف ، بل ان البندقية اصيبت تجارتها الشرقية بضربة قاضية .

هذه امور يجب ان نذكرها عندما نتحدث عن الرحالين الذين زاروا سورية في هذا القرن .

واذا اردنا ان نعرف هؤلاء الرحالين وجب علينا الاشارة الى الجو الذي عاشوا فيه في اوربة . فالقرن السادس عشر هو عصر النهضة هناك . والنهضة ، من وجهة نظر التاريخ الاوروبي ، تحرر من سلطان العصور الوسطى . وعقب هذا التحرر محاولة الاوروبيين ان يعبروا عن انفسهم . وقد اتخذت هذه المحاولة أشكالاً مختلفة ووسائل متعددة . منها الانتاج الادبي الضخم الذي عرفته امم الغرب في ذلك الوقت . ومنها الانتاج الفني . ومنها المغامرات التي تمتاز بها تلك الحقبة من التاريخ الاوروبي ، وخاصةً في الاستكشافات الجغرافية .

والرحالون الذين زاروا بلادنا تنعكس في مخلفاتهم وكتاباتهم حالة الشرق العربي ، كما تنعكس حالة اوربة . وقبل ان نتحدث عنهم كافراد نتناولهم بشكل عام ، محاولين ان نتبين الصفات العامة التي تميزهم عن سابقيهم من رحالي العصور الوسطى . واول ما يبدو لنا من ذلك ان الحجاج قل عددهم اذا قارناهم بالذين جاؤا قبلهم بقرنين مثلا . بينما نجد ان الرحالين السياسيين والعلماء زاد عددهم . ونستطيع ان نلاحظ اتجاهات خاصة بين هؤلاء الرحالين لم تكن من قبل . فهناك قبل كل شيء العناية بالاثار عناية علمية منظمة على نحو ما نعرفه عن (كوتوفيكس) . فالظاهر ان العناية

بالدراسات الكلاسيكية التي بدأت في اوربة وجهت نظر امثال هذا الرحالة الى ما في البلاد السورية من اثار حرية بالعناية . وثمة اهتمام هؤلاء الرحالين بنبات سورية وخصائصه الطبية . وفي طليعة هؤلاء (راولف) الذي جاء البلاد سنة ١٥٧٣ ، ونبش عن اعشابها وحشائشها ونباتها . ومن المظاهر الجديدة التي نجدها عند اولئك الرحالين عنايتهم بالحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد . ولعل الطبيب الفرنسي «بلون» في طليعة هذا النوع من الرحالين . وآخر ما نذكره من ميزات رحالي هذه الفترة ، هو عنايتهم بالخرط والرسوم الكثيرة .

واول من يطالعنا من رحالي القرن السادس عشر فارتما ، الذي زار هذه البلاد في اوائل القرن . وفارتما يمثل روح المغامرة والمجازفة في النهضة الاوربية ، كما يمثل الرغبة في التعرف على كل شيء واختبار كل شيء ، كما يقول هو عن نفسه : فهو ايطالي من بولونيا هبط الاسكندرية سنة ١٥٠٣ واتجه بعدها نحو القاهرة . لكن المدينتين كانتا معروفتين لكثرة ما كتب عنهما . فلم تطب لفارتما الاقامة في مصر لانه كان يريد ان يتعرف الى شيء جديد . فرحل عن مصر الى بيروت حيث قضى بضعة ايام . ومع انه اعجب بثراء بيروت فانه غادرها الى طرابلس فحلب فحماة فدمشق . ويحدثنا عن مركز حلب التجاري وقيمتها كنقطة تتبادل فيها القوافل الفارسية والتركية والسورية متاجرها . كما يلفت نظره قطن حماة . ويقيم فارتما في دمشق بضعة شهور محاولاً ان يتعلم اللغة العربية املا ان يحقق حلمه في ان يسوح في بلاد العرب . وتواتيه الفرصة . فان قافلة الحجاج على وشك الرحيل من دمشق ، وقد صادق كبير المماليك الذين سيرافقون القافلة . فينضم فارتما اليهم على انه مملوك مسلم ويرحل مع القافلة . ويقضي اربعين يوما بين دمشق ومكة المكرمة . ويهم الحجاج بالعودة ، ولكن فارتما لا يريد ذلك ، فيتخلص من المماليك بحيلة ويتخلف ثم يذهب الى جدة . ومن هناك يركب سفينة الى عدن ، حيث القي القبض عليه بتهمة التجسس وسجن . لكن الحظ ساعده فافلت . ثم تجول في اليمن واخيراً هرب على سفينة متجهة نحو فارس . وقد حملت فارتما اسفاره بعد ذلك الى الحبشة والهند وعاد أخيراً الى ايطالية سنة ١٥٠٨ بعد غياب خمس سنوات .

ولما كان فارتما قد أقام مدة طويلة في دمشق ، فقد وصف لنا حكومتها المحلية بشكل يلقي

الضوء على ادارة المماليك في اواخر عهدهم ، لان الرحالة زار المدينة ايام الغوري . فهو يقول ان اهم بناء في المدينة هو القلعة التي بنيت على هندسة فلورنسية ايطالية . وللقلعة اربعة ابراج يقيم في كل منها عشرة حراس . فضلا عن خمسين مملوكا يقيمون داخل القلعة . ومن المألوف ان يولي السلطان قلعة دمشق ونيابتها شخصاً من اخلص خدمه ، لقاء مئة الف اشرفي او مئتي الف . على ان يقدم النائب هدية للسلطان لا تقل عن خمسة وعشرين الف اشرفي . ويصف فارتما طريقة الباص بقوله (انه متى اراد السلطان ان يبلص بضع عشرات من آلاف النقود ، بعث الى نائبه برسالة يطلب اليه فيها ان يجمع عنده عدداً من تجار المدينة واثريائها . فاذا تم ذلك دخل عليهم رسول ثان من السلطان يحمل رسالة فيها مطالبيه . وعندئذ يحصل المبلغ فورا) . ويشير الرحالة الى ان حاكم دمشق ، او غيره من الحكام يمكن ان يعزل في اي وقت او يقتل او يمثل به .

ويلاحظ الرحالة ثروة دمشق وكثرة غلاتها وخيراتها . وتبهره صنعة دمشق واتقان عمالها لمصنوعاتهم . فالقمح واللحم كثيران كثرة لا تصدق . اما الفواكه فلا مثيل لدمشق في الدنيا ، ومثل ذلك بقوله عن ورودها وزهورها .

ولعل من احسن ما رواه فارتما مما يدلنا على حكم المماليك في الاجزاء الداخلية من سورية الوسطى ما رواه عن امير المزيريب . ويسمي رحالتنا هذا الامير الزعبي . فثروة هذا الامير تقدر بخمسين الف من الخيول وثلاثمئة الف من الابل . وقد يكون في هذا بعض المبالغة ولكن فارتما يضيف الى ذلك قائلا . (يستطيع هذا الامير ، اذا شاء ، ان يشن حرباً شعواء على امير الشام او حاكم القدس او حتى على سلطان القاهرة . ويحمل رجاله الرماح الهندية البالغ طول واحدها اثني عشر ذراعا . ومن عادتهم ان يسيروا في حملاتهم جماعات) . والذي نستنتجه من ذلك هو ان سلطان المماليك على هؤلاء الامراء كان اسمياً ، والا لما فكر الزعبي في شن غارة على عواصم البلاد التابعة للسلطان .

وقد خلف لنا فارتما وصفاً لمغامراته واسفاره في المناطق التي زارها ، لكننا نكتفي بما اوردناه هنا لان ما تبقى يخص بلاداً تقع خارج حدود سورية .

ومن حجاج القرن السادس عشر السير رتشارد غلفورد ، الذي جاء حاجاً في سنة ١٥٠٦ ،

غادر انكلترا في اوائل نيسان واجتاز القارة الاوروبية الى البندقية ثم ابحر الى يافا فوصلها في اواسط آب . فيكون قد قضى في الطريق اربعة شهور ويزيد . وفي يافا قضى غلفورد ليلةً في كهف مع بقية الحجاج حتى تم تسجيلهم وترحيلهم الى الرملة . ويقول عن يافا إنها كانت من قبل مدينة كبيرة اما الآن فليس فيها الا برجان يقيم فيهما الحراس وليس ثمة بيوت البتة . وبعد خروج الجماعة من يافا جاؤا الرملة فاستراحوا قليلاً في النزل الذي انشأه فيليب دوق برغنديه للحجاج . اما في القدس فقد نزل ، على عادة الحجاج ، عند رهبان صهيون . وقام الرجل بالزيارات المألوفة للاماكن المقدسة في المدينة نفسها وليت لحم . وكان حظه كبيراً لانه استطاع ان يزور نهر الاردن . ذلك ان زيارة اريحا والاردن كانت صعبة في ذلك الوقت بسبب اضطراب الامن وافلات زمام الامور من يد حاكم القدس المملوكي .

ورأى غلفورد ان يخرج قليلا عما اعتاد ان يكتبه الحجاج في مذكراتهم ويومياتهم المقتضبة فاضاف بعض المعلومات عن منبع الاردن وجبال لبنان والموانئ السورية . اما فيما يتعلق بنهر الاردن فقد غلط وخلط لانه اعتمد على الرحالين القدماء فوقع في اخطائهم . واما الموانئ السورية فقد اشار الى بيروت وثروتها وطرابلس وغناها وكثرة الحرير الذي يستخرج هناك ويصنع فيها .

والحجاج الانكليز قليلون جداً في هذا القرن . لكن الحجاج الالمان كبيرو العدد ، مع انهم اقل بكثير من حجاج القرون السابقة . وسبب ذلك انتشار حركة الاصلاح الديني في اوربة ، على ما يقول احدهم . وقد جاء فلسطين منهم خمسة واربعون معروفة اثارهم . ولعل احقهم بالعناية لويس فون راوتر . ولم يكن هذا الرجل حاجا فحسب ، بل كان رحالةً سياسياً . فقد كان كثير التردد على قصور امراء بولاندا مندوبا عن الدولة النمساوية . واخيراً تحققت رغبة قديمة عنده في ان يزور استانبول ، اذ وصلها سنة ١٥٦٧ . وعندها اعتزم زيارة سورية واداء فريضة الحج في بيت المقدس . ولما تم له ذلك اتجه نحو سيناء ومصر ومن هذه عاد الى المانية ، بعد غياب اربع سنوات .

ولنذكر قبل كل شيء ان فون راوتر زار البلاد بعد ان وقعت بايدي العثمانيين . ولكن عندما نقرأ مذكراته لا نلمح فرقا كبيرا بين البلاد في العهدين . واخبار رحلاته يدونها بتفصيل كبير ودقة متناهية . ومن الحق ان يقال او وصفه للطريق البري عبر اسية الصغرى الى سورية مفيد

للغاية . كما انه ترك لنا صوراً مفيدة للغاية عن انطاكية ودمشق وصفد والسامريين .

كانت انطاكية اول مدينة سورية اقام فيها فون راوتر بعد سفرته من العاصمة العثمانية . فوصفها وصف حاج ، اذ اعتنى بكنائسها والاماكن ذات العلاقة بالرسل . لكن فون راوتر كان موضع عناية حاكم المدينة الذي حباه صداقته . ومن انطاكية رحل الى حلب فاقام فيها اسبوعين في ضيافة الوكيل البندقي . وانتقل بعد ذلك الى دمشق ماراً بحماة وحمص . وفي دمشق شاهد فون راوتر جميع الاماكن التي ترتبط بحياة القديسين بولس وزكريا ، ودونها . لكنه اضاف الى ذلك احصاءات عن دمشق واخباراً عن سكانها وحالتها . فهو يروي ان دمشق كان فيها اربعون الفاً من النصارى . لكن عنصر المبالغة واضح في هذا الرقم .

خرج فون راوتر مع جماعة من دمشق الى صفد . وعند سعسع كان عليهم ان يدفعوا ثلاث قطع فضة عن كل شخص . وهذه النقود يقبضها العرب . وهي رسم يؤديه كل واحد لقاء الحماية التي يتمتع بها . وهو يتمتع بها حقاً . وفي القنيطرة قضى فون راوتر وجماعته بعض الوقت في خان بناه مصطفى باشا . ثم رحل الى صفد بطريق جسر يعقوب وهو جسر بنات يعقوب الآن . ولما كان الامن مضطرباً في شمال فلسطين فقد اضطرت الجماعة الى البقاء في صفد مدة طويلة .

اما طريقه من صفد الى القدس فجاءت على حطين ثم الى مرج ابن عامر فسولم فنابلس . ويقول عن السامريين ان عددهم الف ولا يزيدون .

ويصف فون راوتر زيارته لكنيسة القبر المقدس بالقدس ويروي ان الرسم كان تسع دوقات اي قرابة جنيهين للشخص الواحد . ومعنى هذا ان المبلغ زاد كثيراً عما كان عليه قبل العثمانيين . ويقدر الرحالة ضريبة الحجاج السنوية بنحو ستين الف دوقة اي نحو ثلاثة عشر الفاً من الجنيهات .

ورحل صاحبنا الى روبين واقام ينتظر موكب حاكم بغداد في طريقه الى مصر ليرافقه . وقد نجح في ذلك . ويحدثنا فون راوتر ان كل جمل متجه الى القاهرة يدفع عنه في غزة ضريبة قيمتها نصف دوقة ويروي ان الضريبة السنوية المتحصلة من هذا الرسم ضمنت بما قيمته عشرون الف دوقة سنوياً اي ما يزيد عن اربعة الاف جنيه . ومعنى هذا انه كان يجتاز الى القاهرة كل سنة ما لا يقل عن اربعين الف جمل .

معهد الصليب المقدس الخيري لفتيات الارثوذكس

في بيت لحم

من مظاهر هذه اليقظة الحية التي عمت الطائفة الارثوذكسية جمعاء ، ما نرى من عمل هيئاتنا وافرادنا على رفع شأنها ، واعزاز كلمتها ، واحلالها مكانتها السامية التي تستحقها .

وقد أخذنا على أنفسنا ان ننشر ما يتصل بنا من أعمال أنديتنا وجمعياتنا ، وها نحن نأتي اليوم ، على ذكر معهد الصليب المقدس الخيري لفتيات الارثوذكس في بيت لحم ، فقد قامت سيدات فضليات ، وآنسات نشيطات في مدينة مهد المسيح ، بتأسيسه في شهر شباط من العام المنصرم ، وهدفن فيه الى جمع شتات الفتيات اللواتي لم تمكنهن الظروف تحصيل امور الدين والأدب وما اليها .

وقد حملت الغيرة وحب الخير تلك الجمهرة الكريمة من السيدات والآنسات على البدء بعملهن تحدوهن غاية مثلى واحدة ، ترمي الى جعل الاحسان لا يقف عند حد العطاء والبذل فحسب ، وانما الى جعله عملياً منتجاً مفيداً ، في حاضره ومستقبله ، فجمعن عدداً غير قليل من تلك الفتيات ، واتخذن دار المرحوم القسيس حنا بنايوت ، الملاصقة لدير آباء السالزيان في بيت لحم مركزاً لمعهدهن ، تجتمع فيه تلك الفتيات ، وهن في مختلف الأعمار ، فيعلمنهن أمور الدين والآداب أولاً ، ثم فن الخياطة والتفصيل والقص والتطريز . وكثيرات من القائمات على هذا المعهد يحسن ذلك كله فيحضرن بعد ظهر يومي الثلاثاء والجمعة من كل اسبوع ليلقن الفتيات تلك الامور كلها ، مضحيات بأوقاتهن في سبيل هذا الواجب المفروض عليهن ، ويقمن به مسرورات .

وسعين عدا هذا الى تسجيل معهدهن ، فقدمن طلباً الى الحكومة بذلك ، فأجابتهن بقبوله وسجلته رسمياً بتاريخ ١٧ ايلول من العام المنصرم ، وقد وزعن على فتيات المعهد في عيد الصليب المقدس في الصيف الفارط ألبسة صيفية . وفي عيد الميلاد المنصرم ، وزعن عليهن أيضاً ، وقد بلغ عددهن خمساً وثلاثين فتاة ، ألبسة تحتانية وفساطين صوفية وجرزيه نسجتها كل فتاة لنفسها ، ثم زوج جوارب ، وزوج احذية . والفساطين شغلت في المعهد ، واشتركت الفيتات بخياطتها . وقد

اشتركن في حفلة عيد الميلاد مع الجمعيات الاخرى ، وكانت واحدة من الفتيات تحمل العلم ، وقد طرز بخيوط الذهب ، وفيه رسم الصليب المقدس ، واسم المعهد على الجهتين . كما انهن اشتركن في بعض الحفلات الدينية في بيت لحم . وقد زار المعهد على حداثة عهده كثيرون رأوا بعينهم كيف يكون الاحسان عملياً مفيداً نافعاً ، حاضراً ومستقبلا . وسجلوا خواطرهم وتقديرهم للقائمات به في السجل الذهبي .

ومما تجدر الاشارة اليه ان القائمات به من اكثر البعيدات عن حب الشهرة والظهور ، فهن يقمن بعملهن للعمل الخيري نفسه . وهن عدا ذلك لا يلتجئن الى جمع التبرعات من الاهلين ، ولكنهن يتركن المجال حراً لمن يشاء ان يشد ازر معهدهن وتنميته . ولا شك في ان مثل هذا المعهد سيؤدي خدمة جلى لمثل تلك الفتيات ، وقد يكون الاول من نوعه عندنا . فلا غرابة ان يقوم الاهلون في الوطن ، والمهاجرون الكرام ، دون تمييز بين الطوائف الاخرى ، على النظر الى هذا المعهد نظرة تقدير وعون ، إن شاء الله .

القضية الارثوذكسية

حسب البلاد رهابين بها عبثوا   جاءوا فلسطين منذ البدء آوينا
وقد قبلناهم في سلك بيعتنا   قساوساً منهم سمنا مطارينا
حتى اذا كثروا ما بيننا انتحلوا   لنفسهم سلطة كانت بايدينا
عاثت باوقافنا منهم زبانية   قد ادعوا انهم جاءوا رهابينا
ما جاءنا بطريكنا من «سامس» قدما   كان البطاريك فينا يعربيينا

اسكندر الخوري البيتجالي

من كتابه الجديد «الحرب العالمية الثانية»

موقفنا من حضارة الغرب

القى السيد فرحات زياده هذه المحاضرة في قاعة نادي الاتحاد الارثوذكسي بالقدس ، وقد لخصها للمنبر السيد منذر فاهوم من طلاب الكلية العربية بالقدس . «المحرر»

اعتاد الكتاب العرب والغربيون الاشارة إلينا بأننا شرقيون ، وجمعوا بيننا وبين امم الشرق الاقصى فقال حافظ ابراهيم من قصيدة له في الفتاة اليابانية :

حركتنا غيرة شرقية كاد منها الغرب ان يلتهبا

ويقرننا الغربيون باليابانيين والصينيين . ولكن الحقيقة هي ان هذه التسمية قائمة على اساس جغرافي باعتبار سكان القارة الاسيوية وحدة منفصلة عن سكان اوربة . وفي ذلك تجاهل للقيم الاساسية التي تقاس بها حضارات الشعوب والتي تقرب بين الامم . ولذلك فنحن نجمع بين أنفسنا وبين اليابانيين ونترك من هم أقرب الينا ، من الاوربيين .

وهنا أرجو القارئ ان يتروى فلا يسيء فهمي او ينعتني بما أنا منه براء ، فالواقع هو ان الغرب منا الى حد كبير وكذلك نحن اقرب اليه منا إلى الشرق الاقصى . وهذا لا يعني اننا غربيون فنحن عرب أثرنا في الغرب وأثر فينا وكان لهذا التفاعل المتبادل منافعه لكلا الفريقين . كما أن مركز العرب الجغرافي بين الشرق والغرب جعل منهم اداة فعالة لنقل الثقافة والحضارة بين هذين القسمين من الدنيا .

ولما كان كل شيء لا يقوم إلا على البرهان فاحاول ان اقيم الدليل على ما قلته .

يظهر لنا التاريخ ان الاتصال — سلمياً كان أو عدائياً — كان دائماً بيننا وبين الغرب مما نقل حضارة الشرق إلى الغرب فكان ما كان من نزاع بين القرطاجيين احفاد الفينيقيين وبين الرومان . ثم وقعت بلادنا تحت السيطرة اليونانية والرومانية واصبحت الحضارة الغالبة فيها يونانية الى ان أتى الاسلام وكان ما لا يجهله القارئ من النزاع بينه وبين الغرب .

وأما من الناحية الاقتصادية فالبلدان العربية مركز ممتاز للتجارة بين الشرق والغرب مما ادى الى اشتهار الفينيقيين في هذا المضمار وقيام دولتي تدمر والبتراء ثم الدول العربية الاسلامية والدولة العثمانية حتى القرن الخامس عشر حين اكتشف رأس الرجاء الصالح فكسدت التجارة في البحر المتوسط الى ان فتحت قناة السويس مؤخراً .

وهنالك تجانس كبير بين البلدان العربية والغرب فاهل اوربا والغرب يدينون باديان انبعثت في هذه الديار كما ان إله العبرانيين يهوه من أصل عربي . ووجه الشبه بين الاسلام دين هذه البلاد السائد وبين المسيحية دين الغرب قوي جداً من حيث القيم المعنوية والعقائد في حين يكاد يكون وجه الشبه معدوما في العقائد بين الاسلام من جهة والهندوكية او البوذية والكنفوشية من جهة اخرى .

فالعلاقة وثيقة جداً بين البلدان العربية والغرب من النواحي التاريخية والاقتصادية والدينية . واما من الناحية الثقافية فقد هضم العرب الكثير من التراث اليوناني الفكري وأضافوا إليه الشيء الكثير ثم تم انتقال هذا التراث الفكري الى أوربا اللاتينية في العصور الوسطى عن طريق اسبانيا وصقلية وكان مدعاة للبعث الاوربي الحاضر المدعو بالنهضة .

أما ما أضافه العرب إلى ذلك التراث فيصعب حصره لتعدده فانهم أبدعوا في العلوم الطبيعية والجبر والكيمياء . والاعداد التي يستعملها الاوربيون عربية . وكذلك علم النجوم . وابن خلدون سيد علماء الاجتماع وواضع ذلك العلم وعلم فلسفة التاريخ هو عربي .

ونبغ الرازي في الطب فكان اول من فرق بين الحصبة والجدري . وظل كتاب القانون لابن سينا لمدة طويلة المرجع الخاص في الطب في جامعات اوربا . واهتدى ابن النفيس الى الدورة الدموية الصغرى قبل ان يهتدي اليها الغرب بمائتين وخمسين عاماً .

وقد شق العرب طريقة جديدة في العلوم فأهملوا التقليد واتبعوا الطريقة الاستقرائية فتمهد السبيل الى قيام الحركة العلمية الحديثة العظيمة في الغرب . وظل تأثير ابن رشد في الفلسفة في اوربا عامة وباريس خاصة حتى القرن السادس عشر . ولرسالة الغفران أثر كبير في كتاب دانتي «الكوميديا الالهية» .

وأما في الأدب فاستاذ الأدب الاسباني في جامعة برنستون يعتقد بتأثير الادب الاندلسي العظيم في الادب الاوربي والاسباني بشكل خاص . وهو يرى ان القصة الاوربية (Novel) من أصل عربي .

إذاً فأساس الحضارة الغربية هو منا الى حد كبير ولكن تقهقر هذه البلاد ومقابلته بالتقدم في الغرب منذ بدء النهضة جعلنا نعتقد خطأ بان الحضارة الغربية تختلف تمام الاختلاف عن حضارتنا . ولنا الحق الآن ان نقتبس عن الغرب كما اقتبسوا هم عنا فهذا دين لنا عليهم ، فنسير قدما في مضمار المدنية .

وبالفعل بدأت المؤثرات الغربية بغزوة نابليون لمصر سنة ١٧٩٩ . وقد التقيت هذه المؤثرات بحضارة كانت مسحتها الغالبة مسحة القرون الوسطى بما اتصفت به من تكتل ديني وولاء عائلي وتفكير موضعي خاص لا يتجاوز أفق القرية أو المدينة وانعدام الوعي القومي كما يفهم في الغرب . ولم تأتنا الحضارة الغربية بالعلوم والتقدم الاقتصادي فحسب ، بل وبالأفكار الحديثة وأهمها العلمانية والشعور القومي الذي يتعدى العائلة والملة الى الأمة باجمعها ، والمسؤولية المدنية والاهتمام بمصلحة الفرد وعزته وكرامته .

وخلقت الحضارة الغربية فينا على العموم صغراً في النفس لاننا شاهدنا باعيننا قوتها ، وهي إن أفلت لها العنان تكاد تستعمرنا استعماراً نفسياً انكى من الاستعمار السياسي . ولكن لم يفلت لها العنان والحمد لله بل بدأ النزاع بينها وبين تقاليدنا الاجتماعية وطرق معيشتنا وأفكارنا . وإني لأخشى أن يؤدي هذا النزاع الى الاستسلام والقنوط . وتشكلت في هذه البلاد ثلاث جماعات . فالجماعة الاولى يشكلها من ندعوهم بالليفانتيين والمتفرنجين وهم الذين غالوا في تقليد الغرب على غير هدى ، وهم يتصفون بصغر النفس على اشده فيقلدون الغربيين في اللباس وطرق المعيشة واللغة وهذه الطبقة إن قويت قضت على معنويات هذه الامة وشخصيتها وقتلت روح الابتكار فيها

وهنالك جماعة اخرى هي طبقة الرجعيين فهم يعتقدون ان حضارتنا خير حضارة وتقاليدنا اسمى تقاليد ، وهم يمقتون كل شيء غربي دون اعتبار نفعه او ضرره ، فهم بذلك حجر عثرة في سبيل رقينا ومن هذه الجماعة نفر يرون اخذ العلوم فقط عن الغرب دون اي شيء آخر ، ونظرتهم هذه نظرة

ضيقة تؤدي الى الانتحار الوطني كما حدث لليابان . والسبب في ذلك ان الأساليب العلمية والمادية تتطلب أساليب اجتماعية وروحية تقابلها وتقيدها وتتطور معها على مدى الزمن والا افلتت الأولى وسببت الدمار . والعرب انفسهم اقتبسوا الكثير عن الفرس والروم وغيرهم .

أما خلاص هذه الأمة فيأتي على يد جماعة ثالثة تتخذ مكاناً وسطاً بين المتفرنجين والرجعيين تنقل إلينا من الغرب دون أن نخسر شخصيتنا وروحنا فنهضم الدخيل ونوحد بينه وبين الاصيل .

وأهم القيم والأساليب الغربية التي لا بد لنا منها فأولها الوعي القومي فنبني القومية على أساس فكري لا عاطفي فقط . فبعض الشبان يقارنون فيما بين المثل العليا التي وضعوها لأمتهم وبين الواقع فيرون شقة واسعة بينهما فيسطو عليهم التشاؤم ولا يتعدون القول والمشاحنة . إن القومي الحق هو الذي ينظر حوله فيحل مشاكل محيطه على ضوء ما يعرفه من تاريخ بني قومه فيتوصل الى القومية العاملة . وهو يعتقد انه جزء من الامة وان عليه لها الولاء قبل كل شيء ، وليس لعائلته او لأبناء ملته

وهنالك الوعي المدني أو المسؤولية المدنية وهي صورة مصغرة عن الوعي القومي فيتحمل الفرد المسؤولية ولا يحاول التخلص منها واسنادها الى السلطات الحاكمة كتعليم الأميين مثلاً في هذه البلاد .

وعلينا ان نتعلم من الديموقراطية الغربية روح المهاودة السياسية فيتقيد نزاع الأحزاب ضمن نطاق أخلاقي وطني محدود وتعمل جميع الأحزاب متضافرة على خدمة المجموع .

ومن المسائل التي سبقنا فيها الغرب مركز المرأة ووضعيتها . فنحن نريد أن تكون المرأة حرة نفسياً وان تعتبر نفسها إنساناً كاملاً له حقوقه . ولكن هذا لا يعني مشاركة الرجل في جميع أعماله مما يفقدها انوثتها ، كما حصل في بعض البلدان في الغرب .

فهل لنا ان نعي حياتنا ونسير عاملين خيراً في سبيل هذه الامة ؟

القديس يوحنا الدمشقي

للاستاذ اسطفان حنا اسطفان — القدس

إن القديس يوحنا الدمشقي مفخرة من مفاخر الكنيسة فهو شرقي وغربي في آن واحد . فهو لا يختص بالكنيسة الشرقية دون سواها . كان فيلسوفاً لاهوتياً يشار اليه بالبنان وعالماً جمع ما انجبته قريحة من سبقه من الآباء والعلماء فكانت له اليد الطولى في حفظ وبقاء تراث الكنيسة الجامعة الرسولية . وها نحن اولاء بعد مرور احد عشر قرناً على وفاته ، لا نزال نرجع اليه فيما يختص بتعاليم الكنيسة وعقائدها . فكتاباته الدينية مورد لا ينضب ومعين عذب ، ومع انه ليس بالمفكر العبقري الا انه قد وضع نظاماً تبعه فيه من لحقه من فلاسفة اللاهوت وساروا على هديه ، لا فرق فيهم بين الشرقي او الغربي . افلا ترى ان كتابات القديس توما الاكويني وبطرس اللومباردي مملوءة من افكار مار يوحنا الدمشقي ؟ ولسنا مغالين إن قلنا ان فلاسفة العرب المسلمين كانوا أيضاً تحت نفوذ عقليته الجبارة . اما فلاسفة الغرب من الدرجة الثانية فقد نقلوا عنه الشيء الكثير .

ولسوء الحظ ليس لدينا سوى ترجمة واحدة لهذه الشخصية العربية الفذة خطها يراع يوحنا الخامس بطريرك الكرسي الاورشليمي في القرن العاشر للميلاد . اما رأي علماء تاريخ الكنيسة في هذه الترجمة فيتلخص بالقول ان اسلوبها غامض العبارة يخلط بين الغث والسمين ، لا يكاد يعرف الترتيب في تنميق الفقرات الا انه صريح فيما سوى ذلك . والارجح ان كاتب الترجمة لم يتمكن لسبب ما من تبييض مسودته والا لما الفيناها في اضطراب كهذا الذي هي فيه وهو الكاتب القدير المعروف .

إن الكنيسة الشرقية تذكر هذا القديس في اليوم الحادي عشر من شهر تشرين الثاني ، اما الكنيسة الغربية فتحتفل بعيده في اليوم السادس من ايار . ولد القديس يوحنا الدمشقي سنة ٦٧٦ في دمشق الشام ، وتوفي سنة ٧٥٢ في دير مار سابا . ان كل ما لدينا من تفاصيل حياة القديس

يوحنا مستقى من الترجمة المذكورة آنفاً . ومما يؤسف له انها لا تقبل النقد التاريخي كما نعرفه اليوم .

كان اسم ابيه سرجيوس على ما يرجح والقليل الذي يعرف عنه يدل على انه كان مسيحياً دينياً صادقاً لم يثنه ما حوله عن اتباع السيد المسيح ، ومما يجب الاقرار به ان الامويين لم ينظروا اليه شذراً لانه اخلص لله في دينه بل بالعكس انه لاقى منهم كل احترام واكرام وكان رئيساً لديوان الرسوم في عهد عبد الملك بن مروان وهذه وظيفة خطيرة جداً . وقد خلفه ابنه القديس يوحنا في الوظيفة

رزق سرجيوس اولاداً عدة منهم قزما واخوه القديس يوحنا صاحب الترجمة ، ولما بلغ هذا ٢٣ سنة من عمره حاول ابوه ان يتثقف باحسن ما يمكن تقديمه من علم وقد توفق بذلك الى اقصى حد ممكن . فان القديس يوحنا قد تفوق في العلوم كالرياضيات والفلسفة والفلك والموسيقى واللاهوت بفضل الراهب الايطالي قزما من صقلية الذي كان ذا علم غزير واطلاع واسع . وجده سرجيوس في سوق النحاسين فحرره بامر من الخليفة وكان قد سبي اثناء غارة على شواطىء ايطاليا . وفي بدء رجولته ارتجت الكنيسة باول حركات الخلاف الذي نشب عن تحطيم الايقونات وصور القديسين وكان الامبراطور ليون الايزاوري مشجعاً لهذه الحركة الهدامة فنشر منشوراً سنة ٨٢٦ وآخر سنة ٧٣٠ ضد إكرام صور القديسين فلم يسكت القديس يوحنا على هذا العدوان بل كتب الرسالات الواحدة تلو الاخرى وحرض الشعب على مقاومة هذا الطغيان الغاشم وعرض القضية في اسلوب سهل على الامة المسيحية حتى فهمها البسطاء منهم .

كان القديس يوحنا قد اخذ على عاتقه عبء خدمة الدولة في اسمى درجاتها ولكن هذا لم يقف في سبيل دفاعه عن اعتقاد الكنيسة فانه لم يناضل فقط عن احترام واكرام القديسين بل أيضاً ضد منع عرض صورهم علانية . وكان تحريره الثاني الذي كتبه في هذا الصدد رداً على هجمات الامبراطور ليون الايزاوري اشد لهجة مما سبقه فاستشاط الامبراطور غيظاً عند الاطلاع عليه وعمد الى الحيلة فزور تحريراً بتوقيع القديس يعرض فيه مار يوحنا تسليم مدينة دمشق الى الامبراطور وقد قلد فيه خط القديس وتوقيعه بكل دقة فنية ثم ارسل هذا التحرير المزور الى الخليفة انتقاماً من القديس فلما وقف الخليفة على هذا التزوير صدقه ولم يقنع بالحجة ولم تكفه البينة بل اصر على قطع اليد التي اعتقد انها كتبته فبترت يمناه وترك الوظيفة غير آسف عليها مكرساً نفسه لخدمة سيده المسيح ولم

ينفع بعد ذلك الندم لما وقف الخليفة على حقيقة الامر فحاول ان يعيده الى منصبه الخالي فابى القديس يوحنا ذلك وشكره وترك العالم واباطيله ووزع ماله بين اصدقائه واعطى قسماً منه للفقراء ونبذ اسمه القديم منصور وتسمى باسم يوحنا وانزوى في دير مار سابا مع اخيه قزما . ويقع هذا الدير جنوبي بيت لحم ويصله الراكب بعد مسيرة ست ساعات في البراري والقفار . وقد سيم كاهناً من قبل يوحنا الخامس بطريرك الكرسي الاورشليمي . ولم يكف هذا الحيف الذي لحق به لخدمة الكنيسة ، ففي سنة ٧٥٤ التأم المجمع باشراف الامبراطورين لاون الايزاوري وقسطنطين كوبرونيمس فحمل المجمع على القديس يوحنا ولقب بمحب الاسلام «وعابد الصور الخائن» الذي «ظلم يسوع المسيح» و «معلم الكفر» . وكان قبل وفاته بقليل . إلا ان مجمع نيقيا السابع اعاض عما غمطه اولئك وقد اكرمته الكنيسة الكاثوليكية بتسميته معلماً للكنيسة وهي تحتفل بعيده في ٢٧ آذار بصفته معلماً لها .

كا القديس يوحنا الدمشقي آخر آباء الكنيسة الشرقية البارزين . إن مواهبه لم تكن نتيجة تبحره في علم اللاهوت ولم يكن ليبتكر حقائق دينية جديدة بل ما كل هنالك انه نظم ما تلقاه من العلوم والافكار مما خلفه له علماء الكنيسة ومجاميع المسكونة فقام بهذا العمل على اكمل وجه واتمه وقد خلد بذلك شكر الاجيال التابعة . وعلى كل فانه كان اول فيلسوف لاهوتي اتى بنظام علمي يطبق فيه الدين على العقل فلا مشاحة ان يعد كتابه «في الدين القويم» في مقدمة كتب الفلسفة اللاهوتية . اما كتابه «منبع الحكمة» فتعتبره الكنيسة شرقيها وغربيها كأهم تأليف واعظم خدمة قدمها القديس لها . وكان بنفسه يعتبر هذا الكتاب كأهم عمل قام به .

يقسم هذا المؤلف الى ٣ اجزاء : (١) ابواب في الفلسفة . (٢) في الهرطقة وقد زاد فيه الشيء الكثير عما كتبه ابيفانيوس وينتهي هذا الكتاب باعتراف صريح بالديانة المسيحية وقد ابان المؤلف افكاره باسلوب ينم عن اطلاع واسع وفكر ثاقب الا انه شديد اللهجة . (٣) موجز عرض العقيدة الارثوذكسية ، والكتاب من اهم كتب الدين القديمة . وبهذ التأليف قدم يوحنا خدمة جلى للكنيسة . وكتبه هذه كنز لا يمكن حصره وقد كان ينبوعاً لا ينضب ماؤه فقد استقى منه كافة الفلاسفة اللاهوتيين الذين اتوا من بعده .

ويجب ان نذكر أيضاً موعظة في التجلي وهي التي القاها على جبل الطور وهي من الاهمية على

جانب عظيم فانه بحث فيها عن طبيعتي السيد المسيح ورئاسة بطرس الرسول وسر التوبة . وله من الترانيم الروحية عدد لا يستهان به .

وسافر في آخر عمره الى سوريا ليدافع عن عقيدة اكرام القديسين ولم يخش الموت عندما زار القسطنطينية على اثر ذلك .

اما تآليف القديس يوحنا فقد خلدت ذكره في مقدمة الكتاب اللاهوتيين على ممر العصور وبها تعتز الكنيسة . وما بقي منها وهو اقل من ثلث ما دبجه يراعه مدون في مجموعة «مين» في جلد ٩٤ من كتب الأباء الشرقيين . ومن كتبه المفقودة تاريخ الكنيسة الذي كان يبحث في ستة مجلدات عن حوادث ستة قرون وما بقي منه الآن تراه مبعثراً في مخطوطات قليلة ربما بلغت فقط عشر ما كتب بهذا الصدد ومع ذلك فمكاتب العالم الاثرية تتباهى بما لديها منها .

أحلام مقلقة

نظرت الحياة على رغم سني ... الصغيرة نظرة مستفهم
ولا فرق في نظرات الفتى ... او الشيخ ما دام كل عمي
فهل فهم الشيخ سر الحياة ... لاخشى اذا كنت لم افهم
وهل شام هذي الحياة سوى ... جحيمٍ باعمالنا مضرم
لقد حطم الدهر مني اليراع ... وجف مدادي وأعيا فمي
ويقلقني الليل في كل يوم ... بحلم لجبهته اقتم
فلست احدث غير النجوم ... وهاك حديثي مع الانجم

شفيق عيسى المعلوف

كتبنا

حياة يسوع

للمطران جورج حكيم

٤٢٠ صفحة — مطبعة القديس بولس — حريصا (لبنان)

يقرأ الناس الاناجيل الاربعة المقدسة ، فيجدون فيها حياة المسيح كاملة متقصاة . ولكن هذه الاناجيل تختلف فيما بينها من حيث العناية بنواح خاصة من حياة المسيح . ثم ليس فيها ما يدل على سنوات حدوث الامور ، مما يجعل قراءتها وفهمها تماماً امراً صعباً .

والعمل الكبير الذي قام به نيافة الحبر الجليل المطران جورج حكيم هو انه رتب الحوادث ترتيباً تاريخياً ، وضم الاجزاء المتفرقة من الاناجيل بحيث تتم بها الصورة الواحدة للحادثة ، ووضع التواريخ الضرورية ، واشار الى الاماكن التي وقعت فيها هذه الحوادث من حياة السيد المسيح .

والذين يعرفون تاريخ هذه الفترة ، يدركون مدى الجهد الذي بذله المطران الحكيم لتقديم هذه الاناجيل بهذه الصورة . جزاه الله عن قراء «حياة يسوع» خيراً .

«ن .»

العنقود

٢٥٦ صفحة — مكتبة فلسطين العلمية — القدس

الحرب العالمية الثانية

١١٢ صفحة — دار احياء الكتب العربية — القاهرة

للشاعر اسكندر الخوري البيتجالي

ديوانان جديدان للشاعر الاستاذ اسكندر الخوري البيتجالي . فالعنقود ، كما قال عنه صاحبه ، ديوانه ومجموعة قصائده وهو « رسالة الروح الى الروح والقلب الى القلب » . وقد قسمه صاحبه الى فصول ضمن كلا منها ما يخصه فهناك الوصف ، والنقد والاجتماع ، والسياسة والتاريخ ، والنسيب ، والمآسي ، والمراثي ، وما قيل في الحفلات والنوادي والاناشيد والمقطعات

ونحن اذ نكتب هذه الكلمة عن العنقود لا نطمع في اكثر من التنويه به ، فالديوان وصاحبه يمثلان في تاريخ الأدب العربي الحديث في فلسطين دوراً بعيد المدى ، ويحتلان مكانة مرموقة . ولو اردنا ان نوفي الشاعر حقه لوجب علينا تخصيص عدد كامل على الاقل من المنبر له .

واما الحرب العالمية الثانية ففتح جديد في الشعر العربي . ان الكتاب ملحمة بدأ الناظم بها مع بدء الحرب ، واتمها مع نهايتها ، فهي سجل واقعي لاهم ما رافقها من حوادث ، ولكن الشاعر المؤمن بالمثل العليا يحلق في اجوائها وهو يسجل الواقع . ومن هنا كانت الملحمة فريدة اذ جمعت بين ما في النفس وما كان يجري في العالم .

ولعل الشاعر يطلع علينا في يوم من الايام بملحمة خاصة بفلسطين ، فتوضح لنا تاريخنا ، وتملأ قلوبنا ايماناً .

اساليب تدريس اللغة العربية

للدكتور اسحق موسى الحسيني

٤٣ صفحة — مطبعة بيت المقدس — القدس

للدكتور اسحق موسى الحسيني عناية خاصة بالطرق التي يمكن بها تلقين النشء اللغة العربيــة على ايسر سبيل واقوم اسلوب . فقد اهتم بالموضوع طالباً واستاذاً ومفتشا . وفي هذا الكتاب الصغير يتناول هذه الاساليب في المدارس الابتدائية . وهي خدمة جديدة يقدمها الدكتور الى المشتغلين بالتدريس ، وبالتالي الى المتعلمين .

ونأمل ان لا يطول بنا الانتظار حتى يطلع علينا الدكتور الحسيني «باساليب للمدارس الثانوية» .

سدنة التراث القومي

للاستاذ روكس العزيزي

المكتبة العصرية — مطبعة الآباء الفرنسيسيين ، القدس

من الرجال الذين سيذكرهم الناس ما دامت «الضاد» لهم لغة المرحوم الأب انسطاس ماري الكرملي . فقد كان علامة بحاثة مدركا لدقائق اللغة عارفا بفقهها مطلعاً على ادبها . كان غواصاً في بحر كثر جوهره واضطرب موجه ، فخاض عبابه بشجاعة ، وغاص في اعماقه بصبر ، فخرج وفي جعبته اللآلئ .

وقــد ارخ الاستاذ العزيزي للمرحوم الكرملي ، فوفاه بعض حقه . فله منا الشكر الجزيل ، ومن الله الجزاء الأوفى .



جاءنا المقال التالي تلبية للدعوة التي وجهتها « المنبر » الى سيداتنا ، «فالمنبر» تتقدم الى الكاتبة بالشكر الجزيل .

المحررة

النظرة الحديثة في معاملة الاطفال

للسيدة جوليا سعيد — القدس

لقد كانت التربية الى زمن قريب اي الى اوائل القرن التاسع عشر ، تربيةً اقرب الى الخيال منها الى الحقيقة ، فقد كان غرض المربين تلقين الطلاب مبادىء وتعاليم محدودة كانت تعد في نظرهم مثلاً عليا في الحياة ، وكان إعداد الاولاد للاخرة ، اهم بكثير من إعدادهم للحياة الدنيا . على ان تبدل ظروف المعيشة اقتضت تغييراً متطرفاً في معالجة الاطفال ، واصبح المربون يواجهون الواقع ، نابذين تلك العقائد التي كان من شأنها ترغيب الاولاد عن الحياة الدنيا . اما الفضل في إصلاح نظم التعليم فيرجع الى رجلين ، هما جان جاك روسو وجون لوك . فقد حمل هذان على نظم التعليم التي سادت الغرب قبل القرن التاسع عشر وبشرا بالحرية والديمقراطية الى حد بعيد . على ان خطأهما او بالاحرى ضعف اسلوبيهما كان اهتمامهما باولاد الطبقة الارستقراطية . فمثلا كتاب اميل لجان جاك روسو مع ما فيه من المبادىء العليا في التربية ، يستحيل تطبيقه ، لانه ليس من الممكن ان يكون لكل تلميذ معلم ، ولكل معلم تلميذ ، الا في الطبقات الغنية المنعزلة عن السواد الاعظم من الشعب ، فعليه عندما يفكر الاباء اليوم بتربية ابنائهم ، يجب عليهم ان يخضعوا بصورة ما لنظم المجموع ، كي يكون استعداد الولد وتربيته موافقة لما يتطلبه المحيط والمجتمع ، مع مراعاة ميول الولد ومواهبه

الخاصة ، ومهما يكن نوع التربية التي يختارها الآباء لاولادهم فلا بد من ان ترمي الى هدفين : الاول نفعي ، والثاني ثقافي تهذيبي . فالاول يؤهله كي يحصل معاشه بشرف في هذا العالم . والثاني يرقي فيه الناحية الخلقية والادبية ، ويوسع دائرة تفكيره ويخرجه من عالم الظلمات الى عالم النور .

والاهتمام بتربية الطفل يبدأ منذ ولادته ، وذلك بعكس ما كان يعتقد الناس أن السنين الاولى من حياة الولد خارجة عن دائرة التربية ، ولقد كان للعلم الحديث فضل عظيم في انارة العقول من هذه الناحية . على ان عدداً كبيراً من الامهات ما زلن يسقن بالعاطفة في معاملة الاطفال . وهذا يتضح عندما تتناول المدرسة تهذيب الولد ، اذ عندها تصطدم طريقة الام بطريقة المعلم ، ويصبح الولد ذا شخصيتين متنافرتين ، فتراه يسلك سلوكا حسناً في المدرسة ، كانها المكان الذي يجب فيه الخضوع للقانون ، وتراه يعيش حياة الدلال والفوضى في البيت ، فتلجأ الامهات للتخويف . اما سبب التخويف من اي نوع كان ، فهو الشعور بالضعف امام ارادة الولد التي تشتد كلما شعر الولد بضعف مربيه ، والولد حساس بطبيعته ، يفهم في اغلب الاحيان اكثر مما يتصور الكبار . فالوالدان اللذان يبديان اقل نوع من الخوف امام الولد ، سواء منه او عليه ،يعرضانه لأن يصبح ، اذا لم تتسلط عليه مؤثرات اقوى في المستقبل ، جباناً ، فاقد العزيمة ، ضعيف الاعصاب . وقد يؤثر هـذا على صحته وعمله اشد التأثير — بل قد يؤثر في اخلاقه في الكبر .

وخير طريقة لتجنب اي نوع من التخويف ، هو اكتساب ثقة الولد ، واستخدام طبيعته وغرائزه للتعاون والطاعة بدون نفور او ارغام . ولقد جرب المربون هذه الطريقة في الخمسين سنة الماضية فنجحت كل النجاح . وفي اوربا اليوم مدارس قضت على نظام الضغط والتخويف قضاء مبرما . وليست هذه المدارس فوضى كما يظن البعض إذ ان هناك قوانين بسيطة مفهومة تنفذ بحكمة ودراية فائقة ، كأن لا يتداخل ولد في عمل الآخر ، وان لا يكون لديه سوى لعبة واحدة في وقت واحد . واذا ما شذ احد الاولاد عن المجموع عولج بالفصل عن المجموع ، او بطريقة اخرى دلت التجارب على فائدتها . اما الضرب والحبس والقسوة التي كان يلجأ اليها قديماً ، فليس لها اثر في هذه المعاهد .

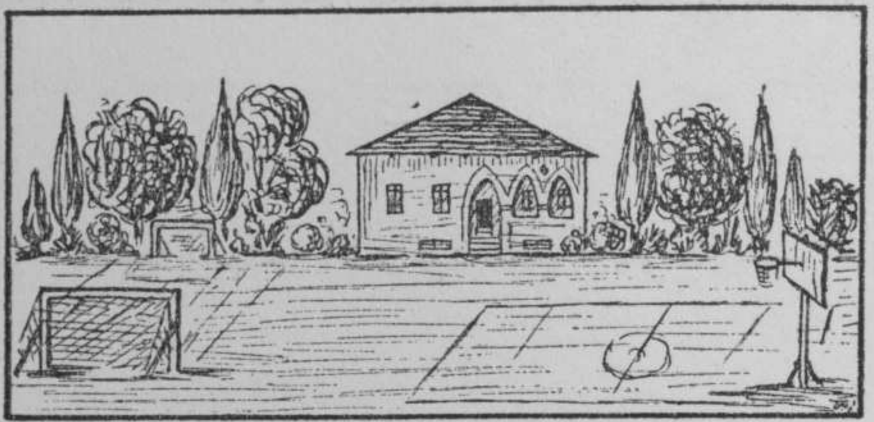
ومن اهم ما تعنى به الطريقة الحديثة في التربية ، تعويد الاطفال الاعتماد على النفس ، إذ أن الولد في حياته المقبلة ، لا ينتظر ان يكون مرعياً من الغير كما كان وهو صغير ، فهو مسؤل عن نفسه

في كل شيء ، واذا لم يتعود منذ الصغر ان يهتم بنفسه ، تراه يشعر وهو كبير ، انه مظلوم في الحياة ، وقليل الحظ فيها . واذا لم يخضع له الناس جميعاً ويمتثلوا اوامره ، تراه ينفر منهم ، فتسوء حالته معهم وحالتهم معه . اما الاعتماد على النفس فيقتضي كي يعود الولد عليه ، الا يكون اهتمامنا بالولد اكثر مما يجب . والمبدأ هو «لا تساعد الولد الا بمقدار ما يحتاج اليه ليقوم بالعمل هو بنفسه . وكما يتعلم المشي والكلام بالمحاولة والاختبار ، كذلك يجب ان يتعلم كل شيء . وما على المربين الا ان يكونوا المحيط اللازم للولد ، ثم يتركوه يتخبط فيه ، كي يتعلم هو بنفسه ، وان لا يرشدوه الا عند الضرورة ، او اذا ضل الطريق . والغرض من التربية ليس حشد الدماغ بالمعلومات ، او التوصل الى نتائج يدفعنا الحماس والغيرة لتحقيقها والتأكد منها في اسرع مدة من الوقت بل هي تكوين عادات طيبة في الاولاد

شتان بين شخص تربى حسب الاصول القديمة ، عندما كانت العصا هي الوسيلة الوحيدة ، وشخص تربى حسب الاصول الحديثة التي يشترك فيها العقل والارادة لتفهم طبيعة الولد . الاولى تخلق في الغالب شخصاً بليد العواطف ، ضعيف الذوق ، لا يهمه سوى تنفيذ رغباته واهوائه ، لا يعدل مع الناس لان من ربوه لم يكونوا عادلين معه . اما الطريقة الثانية ، فتخلق شخصاً حساساً سامي العواطف ، يتجنب ما يمس حقوق الناس ، ويعاملهم بالعدل كما عومل وهو صغير .

لا شك بان الاخطاء التي يرتكبها الاولاد عادةً ، سواء في البيت او في المدرسة ، والتي كانت تستوجب في نظر المربين الاقدمين اشد العقوبات ، ترجع الى اسباب . فقد يسيء الصغير فهم ما يريده الكبير ، وقد لا يستطيع تقدير النتائج لعمله تقديراً صحيحاً ، او ربما كان عنده فيضان في النشاط الجسمي والعقلي ، حتى انه لا يستطيع ان يكف عن الحركة واللعب ، الا اذا استرعى انتباهه امر هام بل كثيراً ما يكون السبب صحياً او عقلياً يستلزم عناية المربي واهتمامه . اما غضب الكبار في مثل هذه الظروف ، فلا يفيد شيئاً ، اذ قد يزيل النتيجة ، ولكنه لا يمس السبب . وما دام السبب موجوداً ، فكل محاولة لاصلاح الولد تكون فاشلة ، اما اذا عرف السبب ، فعندها يمكن ايجاد العلاج اللازم بالتجربة والاختبار ، وقد تكون الوقاية في اغلب الاحيان ارفق من العلاج .

النظرة الحديثة في التربية اليوم ، هي نظرة عطف وتقدير صحيح لغرائز الطفل وميوله ، غرضها تهذيب العواطف ، وترقية النفس ، واعداد النشء لاعمال الحياة المقبلة ، وتأمل الوصول الى هذه الاغراض ، باكتساب تعاون الطفل ، وايجاد الثقة المتبادلة بينه وبين مربيه .



أنباء الأندية

الهيئات الادارية الجديدة

(١) النادي الارثوذكسي — عكا

السادة

الياس طوبي (الرئيس) حسن حبيب حوا (السگرتير) كبريال عيد (امين الصندوق) ميشال خوري (المحاسب) نعيم فرح (مساعد السكرتير) . قسطه خمار ، انيس عوض ، الياس جمال ، جورج فاخوري ، انطون البوري ، نمر حلاق واميل عزام (اعضاء) .

---

(٢) النادي الارثوذكسي — يافا

السادة

بطرس ملك (الرئيس) منير دلل (نائب الرئيس) اميل سليم (السگرتير) حنا فركوح (مساعد السگرتير) حنا الياس مدبك (امين الصندوق) جورج جبران خنوف (مساعد امين الصندوق) .

حنا حداد ، حليم سابا ، ايليا شبيطه ، عيسي غندور ، نقولا ابو خضر وايليا جدعون (أعضاء) .

---

(٣) جمعية النهضة الارثوذكسية العربية — عمان

السادة

سعد ابو جابر (الرئيس) خليل مدانات (نائب الرئيس) ابرهيم السلطي ايوب (السكرتير) ميخائيل قعوار (امين الصندوق) . اسبيرو حداد ، اديب الخاف ، نعمه الدخل الله ، جريس البديوي ، عايد الفرهود ، ابرهيم عواد قاقيش (أعضاء) .

---

(٤) معهد الصليب المقدس — بيت لحم

السيدات والآنسات

ماريا عبدالله اندونية (المديرة) ماري جورج سعاده (نائبة المديرة) جانيت نقولا اللاوصي (امينة الصندوق) عفيفه بطرس عصفوره (السكرتيرة) وديعه يعقوب عاقله (نائبة السكرتيرة) . ايفا سقراط توقاتليدس ، نسطاس حبيب قطان ، منه قسطندي القسيس ، جوليا حنا الخوري سمعان ، ميلاده جورج سعاده وللي ارثر بول (العضوات) .

فقدت جمعية القديس جاورجيوس الارثوذكسية باللد رئيسها السيد ناصيف سليم الحلتة ، فقد استأثره الله برحمته في اوائل العام الحالي ، فنقدم الى الجمعية عزاءنا القلبي على خسارتها الكبيرة .

البنك العربي

(شركة محدودة الاسهم)

الميزانية العمومية كما هي في ٣١ كانون الاول ١٩٤٦

الموجودات	مل	ج.ف.
نقد في الصندوق والبنوك	٧٥٦	٤،٧٤٩،٢٠٧
اسهم شركات وسندات حكومية (بسعر الكلفة)	٠٠٠	١١٤،٤٠٢
حسابات جارية مدينة	٨٧٣	٤،٤٠٣،٠٢٥
اوراق مخصومة	٤٢٤	١،٦٥٤،١٨٩
تعهدات العملاء مقابل كفالات واعتمادات تجارية (له مقابل)	١١٠	٤،٧٢٧،١٢١
الاثاث (بعد الاستهلاك)	٢٨٤	٢٨،٠٩٨
موجودات اخرى	٥٩٢	٥١،٥١٦
رئيس مجلس الادارة عبد الحميد شومان	٠٣٩	١٥،٧٢٨،٠٦١

المطلوبات	مل	ج.ف.	مل	ج.ف.
ودائع وحسابات أخرى			٥٢٨	٨،٢٤٧،٢٥٧
شيكات مقبولة			٤٦٠	٢٨٠،١٤٤
فوائد مقبوضة مقدما			٨٩٨	١٠،٦٤١
مطلوبات اخرى			٧٤٣	٨،٤٧٩
كفالات واعتمادات تجارية للعملاء (له مقابل) . . .			١١٠	٤،٧٢٧،١٢١
رأس المال المصرح والمكتتب به				
٣٧،٥٠٠ سهم تأسيسي بقيمة ٤ ج.ف. كاملة الدفع .	٠٠٠	١٥٠،٠٠٠		
٢١٢،٥٠٠ سهم عادي بقيمة ٤ ج.ف. كاملة الدفع .	٠٠٠	٨٥٠،٠٠٠		
	٠٠٠	١،٠٠٠،٠٠٠		
رأس المال الاحتياطي . .	٠٠٠	١،١٧١،٢٤٣		
احتياطي فوق العادة . .	٩٣٦	٢٦،٧٠٥		
صافي الارباح لسنة ١٩٤٦ (بعد نقل ١٠٪ للرأسمال الاحتياطي)	٣٦٤	٢٥٦،٤٦٧	٣٠٠	٢،٤٥٤،٤١٦
عضو مجلس الادارة محمد راشد كنعان			٠٣٩	١٥،٧٢٨،٠٦١

تقرير فاحصي الحسابات

نتشرف بان نذكر لحضرات مساهمي البنك العربي (شركة محدودة الاسهم) باننا دققنا حسابات البنك في المركز والفروع للسنة المنتهية في ٣١ كانون اول ١٩٤٦ وقد سررنا بالحصول على جميع المعلومات والايضاحات التي طلبناها واننا نشهد بان الميزانية المدرجة اعلاه قد نظمت بصورة توضح حالة البنك المالية الحقيقية وذلك حسبما وصلت اليه معرفتنا وبموجب الايضاحات المعطاة لنا وكما هو مدون في دفاتر البنك .

القدس في ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٧

سابا وشركاهم (فاحصو الحسابات)

البنك العربي

(شركة محدودة الاسهم)

حساب الارباح والخسائر

عن السنة المنتهية في ٣١ كانون الاول سنة ١٩٤٦

من | الى

	مل	ج.ف.		مل	ج.ف.
المصروفات والرواتب والاستهلاك وغيرها . . .	١٠٧	٢٠٠،٧٠٩	جملة الايرادات لسنة ١٩٤٦	٩٤٠	٤٩٤،٠٠٦
المحول الى راس المال الاحتياطي	٤٦٩	٢٩،٣٣٠			
اتعاب مجلس الادارة	٠٠٠	٧،٥٠٠			
رصيد الارباح الصافية	٣٦٤	٢٥٦،٤٦٧			
	٩٤٠	٤٩٤،٠٠٦		٩٤٠	٤٩٤،٠٠٦

«المكتبة العصرية»

يافا وحيفا

تصـــدر قريبـــاً

كتاب
صُور اُورُبية

بقلم
نقولا زياده